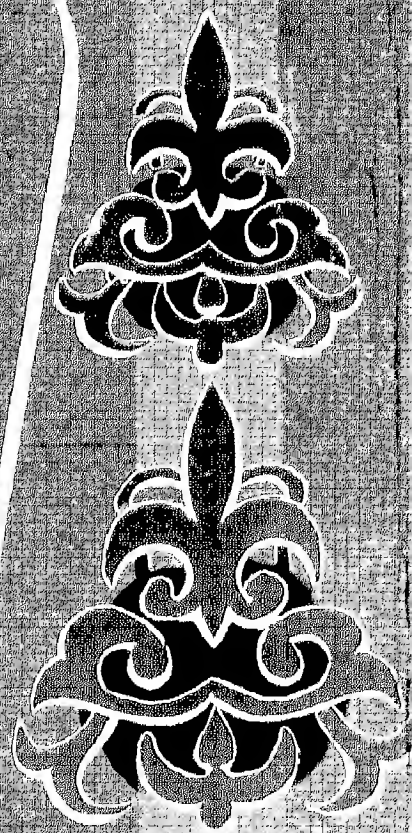


الموايا الخالدة

عبد الباقى صقر و مصطفى حسن

الطبعة الثانية

١٩٧٠ - ١٩٨٠ م



دار الفكر

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / محمد الفتاح منصور

الوصايا الخالدة

الوصايا الخالدة

عبد الباق صقر و مصطفى جبر

الطبعة الثانية

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم .. أمين .

وبعد : فإن التاريخ هو معمل التجارب البشرية بخيرها
وشرها ، وحلوها ومرها وإن وصايا الحكماء هي خلاصة
هذه التجارب توضح الغامض وتقرب البعيد وما زالت
الأقوال الماثورة والأمثال السارية تتردد على الألسنة
وتزين حديث المجالس ورسائل البلغاء فتكون دليلا على
حسن الإدراك وإيضاح الدلالة .

وفي هذا الكتاب جملة من الوصايا الجيدة ،
رتبنا أبوابها على الوجه الآتي :

الباب الاول : من هدى القرآن العظيم والرسول
والنبي الكريم .

الباب الثاني : من وصايا الخلفاء الراشدين .

الباب الثالث : من وصايا الصحابة والتابعين .

الباب الرابع : من وصايا حكماء الجاهلية .

الباب الخامس : وصايا متفرقة .

ويلاحظ القارىء الكريم ان تلك الوصايا تصور ظروفها التاريخية وأثارتلك العصور.. فهي تنقل المرء من عهود الجاهلية وفيها لمحات حكمة ضئيلة من خلال ظلمات الجهل والمظالم ، الى عهد الرسالة بمالها من اشراق البهى لايدانية شيء ، الى كلام رسول الله حيث تجدد الایجاز البلیغ وروح الوحي مع التقيد التام باحكام القرآن وهدیه إلى كلام ابي بكر وهو الورع الحريص على اقل اقتفاء الأثر والحفاظ على التركة الهائلة . فكلام عمر الذي يدل على الاستقرار النفسى مع العنصرية والحزم ، ثم كلام عثمان وفيه رد الفعل للخلافات التي دبت في أواخر عهده ، ثم كلام علي وفيه الاسى على الفضائل المضيعة مع شدة الحرص على جمع الكلمة ومجاهدة الأطماع .

وهكذا تكاد تشعر بروائح العصور وانت، تقلب هذه الورقات .

وقد حرصنا على ان تتخللها بعض الاشعار الخفيفة دفعاً للملل .

ونسأل الله أن ينفع بها كل من نظر فيها فالله أردنا والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

الباب الأول
من كلام الله وكلام رسوله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى في سورة الأنعام (١٥١ - ١٥٣) :

من هدى القرآن

(قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣ .)

وقال تعالى في سورة الرعد (١٨ - ٢٨) :

(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى ، وَالَّذِينَ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لَافْتَدَوْا بِهِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ ١٨ . أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ١٩ . الَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ .
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى
الدَّارِ ٢٤ . وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ
لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٢٥ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

الْآخِرَةَ إِلَّا مَتَاعٌ ۚ ٢٦ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۚ ٢٧ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ . أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۚ ٢٨ .

وقال تعالى في سورة الاسراء (٢٣ - ٣٩) :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ ٢٣ . وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۚ ٢٤ . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۚ ٢٥ . وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ ٢٦ . إِنْ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ ٢٧ . وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ۚ ٢٨ . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ ٢٩ . إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ ٣٠ . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ٣١ . وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٣٢ . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ٣٣ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ٣٤ . وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٣٥ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦ . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ٣٧ . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨ . ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ٣٩ .)

وقال تعالى في سورة المؤمنون (١ - ١١) :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ . فَمَنْ ابْتَغَىٰ

وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ .

وفي سورة الفرقان قال تعالى (٦٣ - ٧٧)

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤ . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ . إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦ . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧ . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا

صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٥ . خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ . قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧ .

وقال تعالى في سورة الشورى (٣٦ - ٤٣)

(فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ . وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٧ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣٨ . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ٣٩ . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ . وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤١ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ ٤٣ .)

سورة العصر :

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣).

سورة الهمزة :

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) .

سورة الماعون :

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) .

من مدى النسبة

السنة هي ما جاء بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو اقرار .

وقد اكد القرآن الكريم منزلتها بقوله :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) .

وقوله تعالى (مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) .
وقوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) .

والسنة المطهرة مليئة بالوصايا الخالدة ، والهداية الراشدة ، وقد اقتصرنا على ايراد بعض الاحاديث الصحيحة في هذه الرسالة ، وما هي الا قطرة من بحر هداه صلى الله عليه وسلم .

الاعتصام بالكتاب والسنة

عن العرباض بن سارية ، قال :

(صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا أَلْعْيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مَوْدَعٌ فَأَوْصِنَا ، فَقَالَ :

«أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِيْ اختلافًا كثيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ أَوْ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

وعن انس ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يَا بُنَيَّ ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ .)

ثُمَّ قَالَ « يَا بُنَيَّ ، وَدَلِكْ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ » .

الصلاة

عن ابى الدرداء ، قال : او صانى خليلي :

« أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحُرِّقَتْ . وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا ، فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ . وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :
 قَالَ «يَا عَلِيُّ : ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرُهَا : الصَّلَاةُ إِذَا أَتَتْ ،
 والجنَازة إِذَا حَضَرَتْ ، وَالْأَيْمُ (١) إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْرًا»

ذِكْرُ الْمَوْتِ

عن عبدالله بن عمر، قال : اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى، فقال :

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» .

وكان ابن عمر يقول :

«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا
 تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ
 لِمَوْتِكَ» .

وعن جابر، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :

«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» .

فَضْلُ التَّسْبِيحِ

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»
 فسأله سائل من جلسائه : كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ
 حَسَنَةٍ؟ . قَالَ:- «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ
 حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»

(١) هى التى لازوج لها . بكرا كانت أو تيبا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها .

الاستغفار والتوبة

عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

«ياعبادي ، إني حرمتُ الظلمَ على نفسي ، وجعلتُه
بينكم محرماً ، فلا تظالموا.. ياعبادي ، كلُّكم ضالٌّ إلا مَنْ
هَدَيْتُهُ ؛ فاستهدوني أهدكم . ياعبادي ، كلُّكم جائعٌ إلا مَنْ
أَطْعَمْتُهُ ؛ فاستطعموني أطعمكم . ياعبادي كلُّكم عارٌ إلا مَنْ
كَسَوْتُهُ ؛ فاستكسوني اكسكم . ياعبادي ، إنَّكم تُخطئون
بالليل والنَّهار وأنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً ، فاستغفروني
أَغْفِرَ لَكُمْ . ياعبادي ، إنَّكم لن تَبْلُغُوا ضُرِّي فتضروني ،
ولَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فتَنفَعُونِي . ياعبادي ، لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ
وآخِرَكُمْ ، وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانوا على أَتَقِي قلب رجلٍ
واحدٍ مِنْكُمْ ؛ ما زاد ذلكَ في مُلْكي شيئاً . ياعبادي ، لو أَنَّ
أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ ، وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ ، كانوا على أَفْجَرِ
قَلْبِ رجلٍ واحدٍ مِنْكُمْ ؛ ما نقص ذلكَ من مُلْكي شيئاً .
ياعبادي ، لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ ، وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ
قاموا في صَعِيدٍ واحدٍ ، فسألوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ
مَسْأَلَتَهُ ؛ ما نقص ذلكَ ممَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ المِخِيطُ

إذا أُدْخِلَ البحر . ياعبادي إِنَّمَا هي أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا
عليكم ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ إِيَّاهَا . فمن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ .
وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

الدعاء

عن أم سلمة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال :

« بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نُعُوذُ بِكَ مِنْ
أَنْ نَزِلَّ أَوْ نُضِلَّ ، أَوْ نُظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ
عَلَيْنَا » .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رجل : هموم لزممتني وديون
يا رسول الله ؛ قال صلى الله عليه وسلم :

« أَفَلَا أَعَلَّمَكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ ، وَقَضَى
عَنْكَ دَيْنَكَ ؟ »

قال : قلت : بلى . قال :

« قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنْ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ
بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » . قال : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ
فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي ، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ (١) الْبَلَاءِ ، وَدَرَكِ (٢) الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ
القَضَاءِ ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » .

عشر كلمات

عن معاذ ، قال : اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال :
« لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ ؛ وَلَا تَعْتَسِنَ
وَالدَّيْلِكَ وَإِنْ أَمْرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ؛ وَلَا
تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً
مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ؛ وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ
رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ، فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حُلَّ
سَخَطِ اللَّهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ ؛ وَإِذَا
أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ (٣) وَأَنْتَ فِيهِمْ ، فَاثْبُتْ ؛ وَأَنْفِقْ عَلَى
عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ؛ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا ؛ وَأَخْفِهِمْ
فِي اللَّهِ »

الجهاد

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنْ تَدَبَّ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيْمَانٌ »

-
- (١) جهد البلاء : المصائب تصيب الانسان ويعجز عن دفعها .
(٢) بفتح الراء أو سكونها أى من الادراك لما يلحق الانسان من تبعته .
(٣) أى طاعون أو وباء .

بي وتصديق برسلي ؛ أن أرجعه بما نال من أجرٍ وغنيمة
أو أدخله الجنة .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا »

وعن زيد بن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ
غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ ؛ فَقَدْ غَزَا » .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أَلْقَتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكْفِّرْ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ »

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ
اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ
أَبَدًا » .

آداب وأخلاق « اللقاء »

عن البراء بن عازب ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا
قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » .

وعن معاوية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرُّجَالُ قِيَامًا ^(١) ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ
مِنَ النَّارِ » .

اللسان

وعن بلال بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغُهَا
يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغُهَا يَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا
عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ » .

أخلاق المؤمنين

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ ذَبَّ ^(٢) عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى
اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ » .

وعن أبي ذر ، قال : قلت يا رسول الله أوصني ، قال :
« أوصيك بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ أَزِينٌ لِأَمْرِكَ كُلِّهِ »
قلت : زدني ، قال : « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ ، وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ » .
قلت : زدني . قال : « عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ ، فَإِنَّهُ

(١) أى يقوموا له كلما أقبل عليهم .

(٢) أى دافع عن سمعته وعرضه .

مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ» . قُلْتُ : زِدْنِي
قَالَ : «إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقُلُوبَ ،
وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ» . قُلْتُ : زِدْنِي . قَالَ : «قُلِ الْحَقَّ
وَإِنْ كَانَ مُرًّا» قُلْتُ : زِدْنِي . قَالَ : «لَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوَمَةٌ
لَايَمٌ» . قُلْتُ : زِدْنِي . قَالَ : «لِيَحْجِزَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ
عَنْ نَفْسِكَ» .

وروى البخاري والترمذي وابن ماجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ ، لَهُ
قُوَّةٌ يَوْمَهُ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِيفِهَا» .

الغيبة

وعن أبي سعيد وجابر ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزُّنَا» . قالوا : يا رسول الله وكيف
الغيبه أشد من الزنا ؟ قال : «إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي فَيَتُوبُ ،
فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى
يُغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ» .

العصبية

عن عبادة بن كثير الشامي من اهل فلسطين ، عن امرأة منهم يقال لها
فسيلة ، أنها قالت :

سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فَقُلْتُ : « يَارَسُولَ اللَّهِ ، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ » قَالَ : « لَا ؛ وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ » .

الاخلاص

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

«لَا عَلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ ، بِيضَاءُ ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»
قال ثوبان ، يارسول الله صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا ، لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أَمَّا هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمَنْ جِلْدَتَكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا » .

وعن عائشة وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

«مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ» .

بر الوالدين والرحم

وعن أبي هريرة ، قال : قال رجل :

يارسول الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال :

«أُمَّكَ» . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : «أُمَّكَ» . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال «أُمَّكَ» قال ثُمَّ مَنْ ؟ قال : «أَبُوكَ» .

وفي رواية ، قال :

«أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ أَلْكَبَائِرِ شَتَمَ الرَّجُلَ وَالِدَيْهِ» . قالوا : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : «نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ؛ وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» .

وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صَلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلَّى» .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ؛ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ» .

وعن ابن عباس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ وَلَدٍ بَارٌّ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدَيْهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَةً» .

قالوا : وإن نَظَرَ كُلُّ يَوْمٍ مائة مرة ؟ قال :
« نَعَمْ ، الله أَكْبَرُ وَأَطْيَبُ » .

الرحمة والتعاون

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالسَّاعِي فِي سَبِيلِ
اللَّهِ » ، وأَحْسَبُهُ قَالَ : « كَالْقَائِمِ لَا يَفْتَرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ »
وعن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ ، فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا »
وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئاً .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »
ثم شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوْفًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَةَ وَسَبْعِينَ
مَغْفِرَةً : وَاحِدَةً فِيهَا صَلَاحُ أَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ
لَهُ دَرَجَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

الحب في الله

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي ؟

الْيَوْمَ أَظْلَمُ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» .

وعن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ،
يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ
قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ :

« هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ
وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ
لَعَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا
حَزَنَ النَّاسُ » . وقرأ هذه الآية :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (١)

الخصومة

عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ،
يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ
بِالسَّلَامِ » .

(١) سورة يونس ، (الآية - ٦٢)

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيُنْمِي خَيْرًا » .

وزاد مسلم ، قالت : ولم أسمعها - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - يُرَخِّصُ في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب ؛ والإصلاح بين الناس ؛ وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها .

وعن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال :

« يَامَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِرِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ ؛ لَا تَوَدُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَعَيِّرُوهُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ؛ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » .

التأني والاقتصاد

عن عبدالله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« السَّمْتُ الْحَسَنُ ^(١) وَالتَّوَدُّ ^(٢) وَالْاِقْتِصَادُ ^(٣) جُزْءٌ مِنْ

(١) السمت الحسن : السيرة المرضية والطريقة المستحسنة .
(٢) الاقتصاد : التوسط في الأحوال والتحرز من طرفي الإفراط والتفريط .

أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ .

وعن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال الأعمش : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ » .

الحياء وحسن الخلق

عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ » وفي روايةٍ - « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وعن أبي ذر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .

وعن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنْ أَلْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَاءُ جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ » .

الغضب والكبر

عن أبي هريرة ، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني . قال :

« لَا تَغْضَبْ » فردَّدَ ذَلِكَ مَرَّارًا قَالَ : « لَا تَغْضَبْ »

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
مِنْ إِيْمَانٍ ؛ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ » .

الظلم

عن ابن عمر ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » .
ثم قرأ :

(وكذلك أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) (١) .

وعن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَىٰ حَقَّهُ ،
وإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

الأمر بالمعروف

عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ

(١) سورة هود الآية ١٠٢

يَسْتَطِيعُ فَبَلِسَانَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ
أَضْعَفُ الْإِيمَانِ .

عن أبي بكر الصديق ، قال :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَخْسِرُكُمْ مَنْ
ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ) (١) .

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَنْ
يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ » . رواه ابن ماجة والترمذي
وفي رواية أبي داود : « إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا
عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » .

وفي رواية أخرى له :

« مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ
يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ »

الدنيا

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نِعَمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » .

(١) سورة المائدة الآية ١٠٥

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ »

عن عمرو بن عوف ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« فَوَاللَّهِ مَا أَلْفَقَرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ
أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،
فَتَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَتَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ » .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمَ
مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ » قلت : أنا يا رسول الله ؛ فَأَخَذَ بِيَدِي
فَعَدَّ خَمْسًا فَقَالَ :

« اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ
اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ
مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا
تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ » .

طلب الدنيا

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ

مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ الْجَنَّةِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ؛ وَإِنَّ الرُّوحَ
الْأَمِينَ أَلْقَىٰ فِي رَوْعِي (١) أَنَّ نَفْسًا لَّنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ
رِزْقَهَا ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَجْمَلُوا (٢) فِي الطَّلَبِ ، وَلَا
يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ، فَإِنَّهُ
لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ .

عن انس ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الْآخِرَةِ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ،
وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ
نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ
أَمْرَهُ ، وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

الرياء

عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ
عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ)
فِي رِوَايَةٍ : « فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ، هُوَ وَالَّذِي عَمِلَهُ » .
عن شداد بن اوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ

(١) الروع : الجلد والنفس والمعنى انه أوحى الى وحيا خفيا .
(٢) أى أحسنوا .

أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني الحارث بن كعب - بعد ان ولى وفدهم - عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الاسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عهد اليه فيه ، وأمره فيه بأمره :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ) . عَقْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لَعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ،
أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقَّ كَمَا أَمَرَ بِهِ
اللَّهُ ، وَأَنْ يُيسِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيَعْلَمَ النَّاسُ
الْقُرْآنَ ، وَيُفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ
أَحَدُ الْقُرْآنِ آلاً وَهُوَ طَاهِرٌ وَيُخْبِرَ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ
وَبِالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيُلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ ، وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي
الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ وَقَالَ :
(أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ
وَيَعْمَلُهَا ، وَيُنْذِرُ النَّاسَ بِالنَّارِ وَيَعْمَلُهَا ، وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى
يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَيَعْلَمَ النَّاسُ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ
وَفَرِيضَتَهُ . وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَالْحَجِّ

الْأَصْغَرَ وَهُوَ الْعَمْرَةَ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا وَاحِدًا يَشْنِي طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَحْتَبِي (١) أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يَفْضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيَنْهَى أَنْ لَا يَعْقُصَ (٢) أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ إِذَا عَفَا (٣) فِي قَفَاهُ ، وَيَنْهَى - إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ (٤) - عَنْ الدَّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلِيَكُنْ دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقَطَّعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى يَكُونَ دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ : وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ ، وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ لَوْقَتِهَا ، وَإِتِمَامِ الرُّكُوعِ وَالْخُشُوعِ ، وَيَغْلَسُ (٥) بِالْفَجْرِ ، وَيَهْجُرُ (٦) بِالْهَاجِرَةِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةً ، وَالْمَغْرِبَ حِينَ يُقْبَلُ

(١) يجمع ظهره وساقية بثوب أو غيره وفد يحتبى بيديه .

(٢) يضغره ويفتله .

(٣) كثرو طال .

(٤) ثوران .

(٥) يبكر في صلاة الفجر .

(٦) في رواية « يهجر الظهر » يبكر الى صلاته .

الليل ، لا تُؤخَّر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء
أول الليل ، ويأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نُوديَ لها ، والغسل
عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس
الله وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة ، من العقار عشر
ماسقت العين (١) وما سقت السماء ، وعلى ماسقي الغرب (٢)
نصف العُشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل
عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر
بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع (٣) : جذع أو
جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها
فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في
الصدقة ، فَمَنْ زاد خيراً فهو خيرٌ له .

وإنه مَنْ أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من
نفسه ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم
وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ،
فإنه لا يُفتن عنها ، وعلى كل حالٍ ذكر أو أنثى ،

(١) في رواية ما سقى البعل : أي الماء الجاري .

(٢) الدلو العظيمة .

(٣) تبيع دخل في السنة الثانية ذكراً كان أو أنثى .

حر أو عبد دينار واف ، أو عَوَضَه ثياباً ، فمن أَدَّى
ذلك ، فإنَّ له ذمَّة الله وذمَّة رَسُولِه ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً » .

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

★ ★ ★

الباب الثاني
من وصايا الخلفاء الراشدين

وصية أبي بكر الصديق إلى خالد بن الوليد

كان أبو بكر رضي الله عنه قد بعث المنى بن حارثة الشيباني على جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد فقاتل حولاً أو نحوه - ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر دينه ، وأعز وليه ، وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب فردا قال الله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا . وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١) وعدا لا خلف له ، ومقالا لا ريب فيه ، وفرض على المؤمنين

(١) سورة النور (الآية ٥٥) .

الْجِهَادَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١) . فاستتموا مَوعِدَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمُتَوَنُّةُ وَاشْتَدَّتْ فِيهِ الرِّزْيَةُ ، وَبَعُدَتْ فِيهِ الشُّقَّةُ ، وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ ذَكَرَ لَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الشُّهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرِينَ سَيُوفِهِمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُمُوهُ ، حَتَّى أُعْطُوا أَمَانِيهِمْ ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَمَا شَيْءٌ يَتَمَنَّاهُ الشُّهِيدُ بَعْدَ دُخُولِهِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْرِضُون (٢) بِالْمَقَارِيضِ فِي اللَّهِ لِعَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ .

انفروا - رحمكم الله في سبيل الله - خفافاً وثقالاً ،
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذَلِكَ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَقَدْ أَمَرْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْمَسِيرِ

(١) سورة البقرة (الآية ٢١٦) .

(٢) يستشهدون فيجزون الجزاء الحسن .

إلى العراق لا يبرحه حتي' يأتيه أمري ، فسيروا معه ؛ ولا
تثأقلوا عنه فإنه سبيل يُعَظِّمُ الله فيه الأجرَ لِمَن حَسَنَتْ
فيه نيَّته ، وعَظُمَتْ في الْخَيْرِ رَغْبَتُهُ ، فإذا قَدِمْتُمُ الْعِرَاقَ
فَكُونُوا بها حتي' يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي ، كَفَانَا اللهُ وَإِيَّاكُم مَّهِم
أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ .

وصية أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب

لا مرض أبو بكر رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه عهد إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وقال :

« إِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِي ، وَمُوصِيكَ بِتَقْوَى
الله ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار
لا يقبله بالليل ، وإنَّه لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤْتِيَ الْفَرِيضَةَ
فإنَّه إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ
فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ
لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا .

إن الله عز وجل ذكر أهل الجنة فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ

أَعْمَالِهِمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ
إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ؛ وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ
فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا
ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ وَذَكَرَ
آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا ،
وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ
الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ
أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَسْتَ بِمُعْجِزِ اللَّهِ .
يَا عَمْرُ ، أَبْغَضَكَ مُبْغِضٌ وَأَحَبَّكَ مُحِبٌّ . وَقَدْ مَا يُبْغِضُ
الْخَيْرَ وَيُحِبُّ الشَّرَّ .

فَقَالَ عَمْرُ : « لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا (يَعْنِي الْخِلَافَةَ) » فَقَالَ لَهُ :

وَلَكِنْ لَهَا بِكَ حَاجَةٌ يَا ابْنَ الْخَطَابِ ، إِنِّي إِنَّمَا أَسْتَخْلِفُكَ
نَظَرًا لِمَا خَلَّفْتُ وَرَائِي . قَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَصَحْبَتَهُ ، وَرَأَيْتَ أَثَرَتَهُ أَنْفُسَنَا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى إِنْ
كُنَّا لَنُهْدِي لَأَهْلِهِ فَضْلَ مَا يَأْتِينَا مِنْهُ ، وَرَأَيْتَنِي وَصَحْبَتَنِي .
وَإِنَّمَا اتَّبَعْتَ أَثَرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي . وَاللَّهُ مَا نَمْتُ فَحَلِمْتُ ،
وَلَا تَوَهَّمْتُ فَسَهَوْتُ ، وَإِنِّي لَعَلَى السَّبِيلِ مَا زَعْتُ . إِنْ

أول ما أُنذِرْك يا عُمَرُ نفسك ، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيرها ؛ واحذر هؤلاء النفسَ من أصحاب رسول الله ، فإنَّهم قد طمحت أبصارُهُم ، وانتفخت أجوافُهُم ، وأحبَّ كل امرئٍ منهم نفسه ، وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم ، فإياك أن تكونه ، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك مازلت خائفا لله وفرقتَهُ ، وَلَكَ مُستَقِيمين ما استقامت طريقَتك .

وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليك

أبو بكر جيش أسامة بن زيد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة على رأس جيش وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم (١) وكان آخر بعث بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بينهم عمر بن الخطاب .

وما كاد الجيش يجاوز الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف أسامة حتى استخلف أبو بكر ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي بكر يستأذنه الرجوع للوقوف إلى جواره في موقفه الخطير الجديد لما توقعه من انتفاض بعض القبائل وارتدادهم ، ولما علم من رغبة الأنصاري أن يولى عليهم رجل أقدم سناً .

فلما أخبر عمر أبا بكر بما قال أسامة ، قال أبو بكر :

«والله لو علمت أن السباع تجرُّ برجلي إن لم أرده مارَدَدْتَهُ ولا حلَلْتُ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البلقاء في الضفة الشرقية لنهر الأردن (وعاصمتها عمان الآن) والداروم قلعة جنوب غزة .

فَقَالَ عُمَرُ :

« إِنِ الْآنَصَارَ يَطْلُبُونَ إِلَيْكَ أَنْ تُؤَلِّيَ أَمْرَهُمْ رَجُلًا أَقْدَمَ
مِنَّا مِنْ أُسَامَةَ » .

فَوَثِبَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ جَالِسًا فَاخَذَ بِلِحْيَةِ عُمَرَ وَقَالَ :

« ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ وَعَدِمَتْكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، اسْتَعْمَلَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمُرُنِي أَنْ أَنْزِعَهُ ؟ »
فَعَادَ عُمَرُ إِلَى النَّاسِ فَقَالُوا لَهُ مَا صَنَعْتَ ؟

فَقَالَ امْضُوا ثَكَلَتْكُمْ أُمَهَاتُكُمْ ، مَالَقَيْتُمْ فِي سَبِيلِكُمْ
مَنْ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ » .

ثُمَّ نَادَى مُنَادِي أَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِ الْغَدِّ مِنْ مَتَوَفَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِيَتِمَّ بَعَثُ أُسَامَةَ :

« أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ
إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْجُرْفِ » (١) .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَانْتَى عَلَيْهِ وَقَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَلَّيْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَأَنَا لَهُ كَارِهِ
وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّ بَعْضَكُمْ كَفَانِيهِ ؛ وَإِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي
لَا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَطِيقُ ؛ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ

(١) الجرف مكان على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

مِنَ الْآفَاتِ وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ
مِّنْ أَحَدِكُمْ ، فِرَاعُونِي ، فَإِن رَأَيْتُمُونِي اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي
وإِن رَأَيْتُمُونِي زَغْت فَاقْوُمُونِي ؛ وَإِن رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَبْضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ
ضَرْبَةِ سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا ، أَلَا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا
أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي لَا أُؤْثِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ .

ثم اشخص الجيش وتبعه وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن
عوف يقود دابه ابي بكر ، فقال له اسامة : يا خليفة رسول الله ، والله
لتركبن او لانزلن ، قال :

« وَاللَّهِ لَا تَنْزِلُ ، وَاللَّهِ لَا أَرْكَبُ ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبَّرَ
قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً ، فَإِنِ لِلْغَازِي فِي كُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا
سَبْعُمِائَةٍ حَسَنَةٍ تَكْتُبُ لَهُ ، وَسَبْعُمِائَةٍ دَرَجَةٍ تُرْفَعُ لَهُ ، وَتُرْفَعُ
عَنْهُ سَبْعُمِائَةُ خَطِيئَةٍ . »

ولما انتهى قال لأسامة : ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فاذن له .
ثم قال ابو بكر :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ قَفُّوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرِ فَاخْضَوْهَا عَنِّي :
لَا تَخُونُوا ، وَلَا تَغْلُوا ، وَلَا تَغْدُرُوا ، وَلَا تَمْثُلُوا ،
وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً وَلَا شَيْخاً كَبِيراً وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا
تَعْقِرُوا نَخْلاً وَلَا تَحْرِقُوا ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مِثْمَرَةً ، وَلَا

تذبحوا شاة أو بقرة ولا بغيراً إلا لِمَا كَلَهُ ، وسوف تَمْرُون
بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ فَدَعَوْهُمْ وَمَا فَرَّغُوا
أَنْفُسَهُمْ لَهُ ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها
ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا إسم
الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصبوا أوساط رؤوسهم
وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً .
انفذوا باسم الله » .

ثم قال لأسامة :

« لصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إبدأ ببِلَادِ قِضَاعَةَ ثُمَّ اثْبِ أَبِل (١) ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ فِي
شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري

وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة :

بلغني أنك تأذن للناس الجماء الغفير ، فإذا جاءك
كتابي هذا فأذن لأهل الشرف ، وأهل القرآن والتقوى
والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة ، ولا تؤخر عمل

(١) أبِل :- بلد بالاردن

اليوم لِيَغْدٍ ، فَتَتَدَاكَ (١) عَلَيْكَ الْأَعْمَالُ فَتَضْيَعُ ، وَإِيَّاكَ وَاتِّبَاعَ
 الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ لِلنَّاسِ أَهْوَاءَ مُتَّبِعَةً ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَضَغَائِنَ
 مَحْمُولَةً ، وَحَاسِبَ نَفْسِكَ فِي الرِّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ ، فَإِنَّهُ
 مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرِّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ كَانَ مَرْجِعُهُ
 إِلَى الرِّضَا وَالْغِبْطَةِ ، وَمَنْ أَلْهَتَهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ عَادَ
 أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ ، إِنَّهُ لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ إِلَّا
 حَصِيفَ الْعَقْدَةِ ، بَعِيدَ الْقَرَارَةِ ، لَا يَحْنُقُ عَلَى جِرَّةٍ (٢) ، وَلَا
 يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَخَافُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةً لَا تُؤْمِ .
 إِنْزَمَ أَرْبَعُ خِصَالٍ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ، وَتَحَظُّ بِأَفْضَلِ
 حَظِّكَ : إِذَا حَضَرَ الْخَصْمَانِ فَعَلَيْكَ بِالْبَيِّنَاتِ الْعَدُولِ ، أَوْ
 الْأَيْمَانِ الْقَاطِعَةِ ، ثُمَّ تَأْذُنُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ
 وَيَجْتَرِي قَلْبُهُ ، وَتَعَاهَدُ الْغَرِيبَ فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ حَبْسُهُ تَرَكَ
 حَاجَتَهُ وَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَاحْرَصْ عَلَى الصِّلَحِ مَا لَمْ يَبْنُ
 لَكَ الْقَضَاءُ .

(١) تزدحم .

(٢) ما يفيض به البعير فيأكله تانية والمقصود لا يضر الحقد والحنق .

كتاب عمر الى أبي موسى الأشعري (في القضاء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ .
أَمَّا بَعْدُ . . فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ،
فَافْهَمَ إِذَا أُدْلِيَ (١) إِلَيْكَ ، وَانْقُذْ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ
تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَازَ لَهُ ، آسَ (٢) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ
وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسُكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ (٣) وَلَا
يَيْأَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ . الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى الْيَمِينَ
عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صَلَاحًا
أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ، وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ
الْيَوْمَ (٤) فَرَاغْتَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهُدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، أَنْ تَرْجِعَ
إِلَى الْآلِ حَقٍّ ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمَرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ
التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

(١) أدلى بالحجة احتج بها .

(٢) سو بينهم واجعل بعضهم أسوة لبعض .

(٣) ميلك معه لشرفه .

(٤) في قول آخر . . بالامس . .

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجَّلَجَ في صدركِ مَّا لَيْسَ في كتاب
الله ولا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرِف الأَشْبَاه
والأَمْثَال فَفَقِسِ الأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنِظَائِرِهَا ، واعْمَدِ إِلَى
أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ واجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا
أَوْ بَيِّنَةً اِمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ
بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَنْفَى
لِلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى ، وَأَبْلَغُ فِي الْعَذْرِ .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في
حد ، أَوْ مُجَرَّباً عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُور ، أَوْ ظَنِيناً (١) فِي وِلَايٍ أَوْ
نَسَبٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ ، وَدَرَأَ (٢) بِالْبَيِّنَاتِ
وَالْأَيْمَانِ ، وَإِيَّاكَ وَأَلْغَلَقَ (٣) وَالضُّجْرَ وَالتَّأَذِّيَ بِالْخُصُومِ ،
وَالْتَنَكَّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مُوَاطِنِ الْحَقِّ
يُعْظَمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ ، فَمَنْ صَحَّتْ
نِيَّتُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ،
وَمَنْ تَخَلَّقَ (٤) لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ ، شَانَهُ

(١) متهما .

(٢) دفع - الحديث (ادروا الحدود بالشبهات) .

(٣) ضيق الصدر .

(٤) تكلف .

الله، فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وخزائن
رحمته . والسلام .

كتاب عمر الى ابي موسى الأشعري (في سياسة الدولة)

أما بعد . . فإن للناس نفرةً عن سُلْطَانِهِمْ ، فَأَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ تُذَرِكَنِي وَإِيَّاكَ عَمِيَاءَ مَجْهُولَةٍ وَضَعَائِنَ مَحْمُولَةٍ ،
وَأَهْوَاءَ مُتَّبَعَةٍ ، وَدُنْيَا مُؤَثِّرَةٍ (١) ، فَأَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً
مِنَ النَّهَارِ ، وَإِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لِلَّهِ ،
وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا ، فَاتَّخِذْ نَصِيْبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى نَصِيْبِكَ مِنَ
الدُّنْيَا . فَإِنَّ الدُّنْيَا تَنْفَدُ وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، وَكُنْ مِنْ خَشِيَةِ
اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَأَخِفِ الْفُسَاقَ وَاجْعَلْهُمْ يَدًا يَدًا ، وَرِجْلًا
رِجْلًا (٢) ، وَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ثَائِرَةٌ (٣) وَتَدَاعَوْا
يَا لِفُلَانٍ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ نَجْوَى (٤) الشَّيْطَانِ ، فَاضْرِبْهُمْ بِالسَّيْفِ
حَتَّى يَفِيئُوا (٥) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَتَكُونَ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ ،
وَاسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالطَّاعَةَ بِالتَّائِلِ ، وَالْمَقْدِرَةَ

(١) مفضلة .

(٢) كبل ايديهم وأرجلهم بالاغلال والقيود .

(٣) عداوة وشحناء .

(٤) في صيغة أخرى : نخوة من الشيطان وهي الكبر والعظمة .

(٥) يعودوا .

وَالنُّصْرَةَ بِالتَّوَاضُّعِ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ .

وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ضَبَّةً تَدْعُو بِالضَّبَّةِ ، وَإِنِّي
وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ أَنَّ ضَبَّةً سَاقَ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا قَطُّ . وَلَا مَنَعَ بِهَا
مِنْ سُوءٍ قَطُّ . فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَانْتَهِكْهُمْ (١) عُقُوبَةً
حَتَّى يَتَفَرَّقُوا إِنْ لَمْ يَفْقَهُوا . وَأَلْصَقْ بِغِيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ
مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَعُدْ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ . وَاشْهَدْ جَنَائِزَهُمْ ، وَافْتَحْ
بَابَكَ لَهُمْ . وَبَاشِرْ أَمْرَهُمْ بِنَفْسِكَ . فَإِنَّمَا أَنْتَ أَمْرُهُمْ
غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا .

وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَدْ فَشَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ
هَيْئَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا ،
فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِوَادٍ
خَصْبٍ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا هَمَّةٌ إِلَّا السَّمَنُ ، وَإِنَّمَا حَتَفُهَا
فِي السَّمَنِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعَامِلِ مَرَدًّا إِلَى اللَّهِ ، فَإِذَا زَاغَ الْعَامِلُ زَاغَتْ
رَعِيَّتُهُ ، وَأَنَّ أَشَقَى النَّاسِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَالسَّلَامُ

(١) اشْتَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ .

كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص

عند غزو فارس

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد :
قال بعد حمد الله والثناء عليه :-

أما بعد . . . فإنني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعددتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظَةَ من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شرُّ منا ، فلن يُسلَّط علينا ، فرب قوم سلَّط عليهم شرُّ منهم ، كما سلَّط علي بنو إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفَّارُ المجوس ، فجاسوا خلال

الدِّيار ، وكان وعدًا مفعولاً ، واسألوا الله العون على أنفسكم
كما تسألونه النَّصر على عدوِّكم ، أسأل الله تعالى ذلك
لنا ولكم .

وترَفَّقَ بالمسلمين في مَسِيرِهِمْ ، ولا تُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا
يُتَعَبُهُمْ ، ولا تُقَصِّرْ بِهِمْ عن مَنْزِل يَرْفُقُ بِهِمْ ، حتى يَبْلُغُوا
عدوهم - والسَّفَرُ لم يُنْقِصْ قوتهم - فإنهم سائرون الي
عدو مُقِيم ، حامى الأنفُس والكراع (١) ، وأَقِم بِمَنْ
مَعَكَ في كل جمعة يوماً وليلة ، حتي تكون لهم راحة
يُحْيُونَ فيها أَنْفُسَهُمْ ، وَيُرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ،
وَنَحْ مِنْزِلَهُمْ عن قُرَى أَهْلِ الصِّلح والذِّمَّة ، فلا
يدخلها من أصحابك إِلَّا من ثَق بدينه ، ولا يَزْأ (٢)
أَحَدًا من أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ حَرَمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتُلِيْتُمْ بِالْوَفَاءِ
بِهَا ، كما ابْتُلُوا بالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فما صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ
خَيْرًا ، ولا تَسْتَنْصِرُوا على أَهْلِ الْحَرْبِ بِظَلَمِ أَهْلِ الصِّلح ،
فَإِذَا وَطِئَتْ أَرْضُ الْعَدُوِّ فَأُذِكِ الْعُيُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ،

(١) الخيل

(٢) يصيب

وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ
أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنْ أَلْكَذُوبُ
لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالْغَاشُّ عَيْنُ
عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دُنُوكَ مِنْ أَرْضِ
الْأَعْدَاءِ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَائِعُ وَتُبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ
السَّرَايَا (١) أَمْدَادُهُمْ وَمُرَافِقَهُمْ وَتَتَّبِعَ الطَّلَائِعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ (٢)
لِلطَّلَائِعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتَخَيَّرَ لَهُمْ سَوَابِقَ
الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تَلْقَاهُمْ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ،
وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجَلَادِ ،
وَلَا تَخْصُ بِهَا أَحَدًا بِهَوْيٍ فَتُضَيِّعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ أَكْثَرُ مِمَّا
حَابَيْتَ بِهِ أَهْلَ خَاصَّتِكَ ، وَلَا تَبْعَثَنَّ طَلِيعَةً وَلَا سَرِيَّةً فِي وَجْهِ
تَتَخَوَّفُ فِيهِ غَلْبَةً أَوْ ضِيعَةً أَوْ نَكَايَةً ، فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ،
فَاضْمِمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَائِعَكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ
مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَاجِلْهُمْ الْمَنَاجِزَةَ مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ
قِتَالُ ، حَتَّى تَبْصُرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ
كُلَّهَا كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعَ بِعَدُوِّكَ كَصَنْعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكَ
أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَيَقِّظُ مِنَ الْبَيَاتِ جِهْدَكَ ، وَلَا تُؤْتِيَ

(١) قَطَعَ مِنَ الْجَيْشِ .

(٢) تَنْقَاهُ - اخْتَارَهُ .

بأسير ليس له عقد (١) إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو
الله وعدوك ، والله وليُّ أمرك ومن معك ، وولي النصر لكم
على عدوكم ، والله المستعان .

كتاب عثمان إلى أهل الموسم (٢)

أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عباس أن يحج بالناس في
السنة التي قتل فيها (سنة ٣٥ هـ) وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب
يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله عثمان أمير المؤمنين ، إلى المؤمنين

والمسلمين :

سلام عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو .
أما بعد : فإني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم
عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم
من الكفر ، وأراكم البيِّنات ، وأوسع عليكم من الرِّزق ،
ونصركم على العَدُوِّ ، وأسبغ عليكم نِعَمه ، فإن الله عز وجل
يقول وقوله الحق :

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ

(١) عهد .

(٢) بتصرف من الاصل جمهرة رسائل العرب ج ١

كَفَّارٌ) . ثم ذكرهم بآيات من الذكر الحكيم ، منها :
(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

وقال ، وقوله الحق :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . وقال أيضاً وقوله الحق :
(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيْتِرِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

أما بعد : فإن الله عز وجل رضي لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذركم من المعصية والفرقة والاختلاف ، ونبأكم بما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله جل وعز ، واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من

بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى
ماتفعلون ذلك لاتقيموا الصلاة جميعاً ، وسلط عليكم
عدوكم ، ويستحل بعضكم حرم بعض ، ومتى يفعل ذلك
لا يقيم لله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جل
وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي
شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .
وإنني أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذركم عذابه ، فإن
شعباً صلى الله عليه وسلم قال لقومه :

(وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ
بَبَعِيدٍ ، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ) .

أما بعد : فإن أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث
أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ،
ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها ، فلما عرض عليهم
الحق إذا الناس في ذلك شتي^١ ، منهم آخذ للحق ونازع^(١)

(١) نزع عن الأمر كضرب : كف وأبى .

عنه حين يُعْطَاه ، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يُريد أن يَبْتَزَهُ (١) بغير الحق ، طال عليهم عُمرِي ، وراث (٢) عليهم أَمَلُهُم الإِمرَة فاستعجلوا القَدَر ، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رَجَعُوا بالذي أُعْطِيَتْهُمْ ، ولا أَعْلَم أَنِّي تركتُ من الذي عاهدتهم شيئاً ، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت : أَقِيموها على من علمتم تَعَدَّاهَا في أَحَد ، أَقِيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد ، قالوا : كتاب الله يُتلى ، فقلت : فَلْيَتْلُهُ من تلاه غير غَال فيه بغير ما أَنزل الله في الكتاب ، وقالوا : - المحروم يرزق ، والمال يُوفِّي لِيُسْتَنَّ فيه السُّنَّة الحسنَة ، ولا يُعْتَدَى في الخُمُس ولا في الصَّدَقَة ، ويؤمر ذو القوة والأمانة ، وتُرد مظالم الناس إلى أهلها ، فَرَضِيَتْ بذلك واصطبرت له ، وجئتُ نِسْوَةَ النبي صلى الله عليه وسلم حتي كَلَّمْتُهُنَّ فقلت : ما تَأْمُرُنِي ؟ فقلن : تُؤمِّر عمرو ابن العاص (٣) ، وعبد الله بن قيس (٤) وتَدْعُ معاوية ، فإنما

(١) يستلبه .

(٢) أبطأ عليهم .

(٣) مات « عمر » وعلي مصر « عمرو بن العاص » فلما ولي « عثمان » أقره على عمله أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى مكانه عبدالله بن سعد بن أبي سرح - وهو اخو عثمان من الرضاع .

(٤) هو أبو موسى الأشعري ، وكان عاملاً على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها وظل ست سنين ثم عزله عنها سنة ٢٩ هـ وولاه عبدالله ابن عامر - وهو ابن خال عثمان - فسار أبو موسى من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص - وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤ هـ فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله « علي » عنها .

أَمْرَهُ أَمِيرَ قَبْلِكَ ، فَإِنَّهُ مُصْلِحٌ لَأَرْضِهِ ، رَاضٍ بِهِ جُنْدُهُ ، وَارْدَدَ عَمْرًا فَإِنْ جُنْدُهُ رَاضُونَ بِهِ ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُ ، وَإِنَّهُ اعْتَدِيَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَعُذِيَ عَلَى الْحَقِّ ، كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَأَصْحَابِي الَّذِينَ زَعَمُوا فِي الْأَمْرِ اسْتَعْجَلُوا الْقَدَرَ ، وَمَنَعُوا مِنِّي الصَّلَاةَ (١) ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ ، وَابْتَزَوْا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابِي هَذَا وَهُمْ يُخَيِّرُونَنِي إِحْدَى ثَلَاثَ : إِمَّا يُقِيدُونَنِي بِكُلِّ رَجُلٍ أَصَبْتُهُ خَطَأً أَوْ صَوَاباً غَيْرَ مَتْرُوكٍ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِمَّا أَعْتَزِلُ الْأَمْرَ فَيُؤْمَرُونَ آخَرَ غَيْرِي ، وَإِمَّا يُرْسِلُونَ إِلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيَتَبَرَّئُونَ مِنَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَمَا إِقَادَتِي مِنْ نَفْسِي ، فَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي خُلَفَاءُ تُخْطِئُ وَتُصِيبُ فَلَمْ يُسْتَقَدْ (٢) مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّمَا يَرِيدُونَ نَفْسِي ، وَأَمَا أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِمَارَةِ فَإِنْ يَكْلُبُونِي (٣) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخُلَافَتِهِ ، وَأَمَا قَوْلُهُمْ يَرْسِلُونَ إِلَى الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَيَتَبَرَّئُونَ مِنْ طَاعَتِي ، فَلَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ، وَلَمْ

(١) لم يمكنوني من الصلاة .

(٢) استقاد :- ذل وخضع .

(٣) كلبه أي ضربه بالكلاب :- وهو قطعة الحديد التي على خف رائض الخيل .

أَكُنْ استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ، ولكن
أَتَوْهَا طَائِعِينَ يَبْتَغُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَإِصْلَاحَ ذَاتِ
الْبَيْنِ ، وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِنَّمَا يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِنَائِلٍ
مِنْهَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَكُنْ إِنَّمَا يَرِيدُ وَجْهَ
اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَصَلَاحَ الْأُمَّةِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ
وَالسُّنَّةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي اسْتَنَّا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالْخُلُفَاءَ مِنْ بَعْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَإِنَّمَا يَجْزِي بِذَلِكَ
اللَّهُ ، وَلَيْسَ بِيَدِي جَزَاؤُكُمْ ، وَلَوْ أُعْطِيتُمْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ،
لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَمَنٌ لِدِينِكُمْ ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاحْتَسِبُوا مَا عِنْدَهُ ، فَمَنْ يَرْضَ بِاللَّنْكَثِ مِنْكُمْ فَإِنِّي
لَا أَرْضَاهُ لَهُ ، وَلَا يَرْضِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَنْكُثُوا عَهْدَهُ ، وَأَمَّا
الَّذِي يَخَيَّرُونَنِي فَإِنَّمَا كُلُّهُ النَّزْعُ وَالتَّأْمِيرُ ، فَمَلَكَتُ نَفْسِي
وَمِنْ مَعِيَ ، وَنَظَرْتُ حُكْمَ اللَّهِ وَتَغْيِيرَ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،
وَكَرِهْتُ سُنَّةَ السُّوءِ وَشِقَاقَ الْأُمَّةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ .

فإني أنشدكم بالله والإسلام أن لا تأخذوا إلا الحق
وتعطوه مني ، وترك البغي على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل
كما أمركم الله عز وجل ، فإنني أنشدكم الله سبحانه الذي
جعل عليكم العهد والموازة في أمر الله ، فإن الله سبحانه

قال وقوله الحق :

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) .

فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون .

أما بعد فإني لأُبْرِي نفسي ، إِنَّ النفس لَأَمَّارَةٌ
بالسوء إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَاقَبْتُ
أَقْوَامًا فَمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ، وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ
وَجَلَّ - مِنْ كُلِّ مَا عَمَلْتُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا
هُوَ ، إِنْ رَحِمَهُ رَبِّي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ لَا يَقْنَطُ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ ، وَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ
ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ ، وَأَنْ يُوَلِّفَ
قُلُوبَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْخَيْرِ ، وَيُكْرِهَ إِلَيْهَا الْفُسْقَ ، وَالسَّلَامَ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُسْلِمُونَ .

فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية (١) بمكة بيوم ،
ثم قفل إلى المدينة وإذا عثمان قد قتل .

(١) يوم التروية : - هو اليوم الثامن من ذى الحجة يتزود الحجاج فيه بالماء ، لانه كان قليلا بمنى فكانوا يتزودون من الماء لما بعد .

وَصِيَّةُ عَلِيٍّ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ

بلغ علياً - كرم الله وجهه - أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف
دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها فكتب إليه :-

«أما بعد : يا بن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من
فتية (١) أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ،
تستطاب لك الألوان ، وتُنقل إليك الجفان ، وما ظننتُ
أنك تُجيب إلى طعام قوم عائلهم (٢) مَجْفُوً ، وغنيهم
مدعو ، فانظر إلى ما تَقْضِيهِ مِنْ هذا المَقْضَم ، فما اشبه
عليك علمه فالْفِظْهُ ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يُقْتَدَى به وتستضيئ بنور
علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطِمْرِيهِ (٣) ومن
طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ ، ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك ، ولكن
أعينوني بِوَرَعٍ واجتهاد ، وعِفَّةٍ وسداد ، فوالله ما كُنْزْتُ مِنْ
دنياكم تَبْرًا ، ولا ادَّخَرْتُ مِنْ غنائمها وَفْرًا ، ولا أَعْدَدْتُ
لِبالي ثوبِي طِمْرًا ، ولا حَزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا ،

(١) يقال للشباب فتى وللسخى فتى .

(٢) فقيرهم .

(٣) الطمر :- الثوب البالى .

وَلَا أَخَذْتُ مِنْهَا إِلَّا كَقَوْتِ أَتَانِ دَبِيرَةٍ (١) ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي
أَوْهِي' وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةِ مِقْرَةٍ (٢) .

بلى ... كَانَتْ « فَدَكُ » (٣) مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ ،
فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ (٤) وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ
آخَرِينَ (٥) ، وَنِعَمَ الْحَكَمَ اللَّهُ ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ
فَدَكٍ ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثُ (٦) ، تَنْقُطُ فِيهِ آثَارُهَا ،
وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فَسْحَتِهَا ، وَأَوْسَعَتْ يَدَا
حَافِرِهَا ، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ (٧) ، وَسَدُّ فُرْجِهَا التُّرَابُ
الْمُتْرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى' ، لِتَأْتِيَ آمِنَةً
يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلُوقِ (٨) .

وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفِّي' هَذَا الْعَسَلِ ،
وَلُبَّابِ هَذَا الْقَمْحِ ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ

(١) الضعيفة قليلة الطعام .

(٢) العفصة : - ما يصنع منها الحبر ، والمقرة : - مرة المذاق .

(٣) قرية بخيبر بينها وبين المدينة يومان - فيها عين ونخل كثير ، أفاءها
الله على رسوله صلحا سنة سبع ، فكانت خالصة له ، ينفق ما يأتيه منها في
أبناء السبيل ، فلما قبض عليه الصلاة والسلام ، طالب بها ورثته فاطمة
والعباس .

(٤) يعنى العباس .

(٥) يعنى نفسه بوصفه زوجا لفاطمة .

(٦) قبر .

(٧) قطع الطين اليابس .

(٨) الصراط .

يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تَخِيرِ الأَطعمة ، ولعل
بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له
بالشبع ، أو أَبَيْتَ مِبْطَاناً وحوالي بَطُونٌ غَرَّتِي^(١) ، وأَكْبَاد
حَرِّي^(٢) ، أو أَكُونُ كما قال القائل :

وحسبك عاراً أَن تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ

وحولك أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقِدِّ^(٣)

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَن يَقَالَ : هذا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، ولا
أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ، أو أَكُونُ أُسُوءَ^(٤) لَهُمْ فِي جُشُوبَةٍ^(٥)
الْعَيْشِ ، فَمَا خُلِقْتُ لِيُشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ ، كَالْبَهِيمَةِ
الْمَرْبُوطَةِ ، هَمُّهَا عِلْفُهَا ، أو الْمَرْسَلَةُ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا^(٦) ،
تَكْتَرِشُ^(٧) مِنْ أَعْلَافِهَا ، وتلهو عَمَّا يُرَادُ بِهَا ، أو أَثْرَكَ
سُدِّيَّ وَأَهْمَلُ عَابِثاً ، أو أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ ، أو أَعْتَسَفَ^(٨)
طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ .

-
- (١) جِيَاع .
 - (٢) حَارَةٌ مِنَ الظَّمَا .
 - (٣) الْقِطْعَةُ مِنَ الْخُبْزِ أَوْ اللَّحْمِ .
 - (٤) قِدْوَةٌ .
 - (٥) خَشُونَةٌ .
 - (٦) تَتَّبِعُهَا الْقِمَامَاتُ وَالتَّقَاطُهَا .
 - (٧) تَمَلَّا كَرَشَهَا .
 - (٨) أَرْكَبَ الطَّرِيقَ عَلَى غَيْرِ هَدًى .

وكأنني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ، ومنازلة الشجعان ، ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودًا ، والروائح (١) الخَضِرَة أرقُّ جُلُودًا ، والنَّابِتَاتُ البَدَوِيَّة (٢) أقوي وقودًا .

وأنا من رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنْوَ مِنَ الصَّنْوَ (٣) ، والذراع من العُضْدِ ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وُلِّيت عنها ، ولو أمكنتِ الفُرَصُ من رقابها لَسَارَعْتُ إليها ، وسأجهد في أن أُطَهِّرَ الْأَرْضَ من هذا الشخص المعكوس (٤) ، والجسم المركوس (٥) حتي تخرج المدرة من بين حَبِّ الحَصِيدِ (٦) .

إليك عني يا دنيا ، فحبلك على غاربك (٧) ، قد انسلت من مخالبك ، وأفلتت من حبالك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك (٨) ، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك (٩) ، أين

-
- (١) الأشجار والأعشاب التي يروكك حسننها .
(٢) في صيغة أخرى « العذبة » بكسر العين وسكون الذال وهي التي تروى بالمطر وبعيدة عن الماء فيصيبها من الماء قليل .
(٣) من أصل واحد له .
(٤) انعكست عقيدته عن الهدى الى معاكسة الحق والصواب ، ويقصد معاوية .
(٥) من الركب :- وهو رد الشيء مقلوبا وقلب أوله على آخره .
(٦) المدرة :- الطين اليابس ، والمقصود حتي يتطهر الدين منه .
(٧) الغارب :- الكاهل ، والمقصود :- اذهبى حيث شئت .
(٨) المزالق .
(٩) بمداعبك :- أى مسراتك .

الأُمم الذين فَتَنَتْهُمْ بِزَخَارِفِكَ . هَاهُمْ رَهَائِنِ الْقُبُورِ .
وَمَضَامِينِ (١) اللُّحُودِ . وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ شَخْصاً مَرْتِئاً ، وَقَالِباً
حَسِياً ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرَتِهِمْ بِالْأَمَانِي .
وَأُمَمِ الْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكِ أَسْلَمَتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ .
وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ ، إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدَرَ (٢) . هِيَاهُت
مَنْ وَطِيءَ دَحْضَكَ زَلِقَ ، وَمَنْ رَكِبَ لُجْجَكَ غَرِقَ ، وَمَنْ
أَزُورَ (٣) عَنْ حَبَائِلِكَ وَفُقَّ ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يَبَالِي إِنْ ضَاقَ
بِهِ مُنَآخُهُ . وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ ، اعْزُبِي عَنِّي
فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّي ، وَلَا أَسْلَسُ لَكَ فَتَقُودِي ،
وَأَيْمُ اللَّهِ يَمِيناً أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لِأَرُوضَنَّ نَفْسِي
رِيَاضَةً تَهْشُرُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعوماً ،
وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَادُوماً ، وَلَا دَعَنُ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ
مَعِينِهَا ، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا .

أَتَمَلُّ السَّائِمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرُكُ ، وَتَشْبَعُ الرَّبِیْضَةَ مِنْ
عُشْبِهَا فَتَرْبِضُ ، وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ ، قَرَّتْ

(١) تحتويهم .
(٢) ورود الماء للشرب ثم الصدور عنه بعد ذلك .
(٣) مال وأعرض .

إِذْنٌ عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَىٰ بَعْدَ السَّنِينَ الْمَتَاوَلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ (١)
وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ .

طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَتَتْ إِلَىٰ رَبِّهَا فَرَضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا
بُؤْسَهَا (٢) وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا ، حَتَّىٰ إِذَا غَلَبَ الْكَرَىٰ
عَلَيْهَا ، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا ، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرِ أَسْهَرِ
عُيُونِهِمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مُضَاجِعِهِمْ جُنُوبِهِمْ ،
وَهَمَّهَتْ (٣) بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ
اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبِهِمْ ، (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنِي حَنِيفٍ . . . وَلِتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُونَ
مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ » .

(١) السَّارِحَةُ بِغَيْرِ رَاغٍ .

(٢) صَبَرَتْ عَلَيْهِ .

(٣) الهمهمة :- الكلام الخفى وترديد الصوت .

كتاب علي للأشتر النخعي

ومن كتاب علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كتبه للأشتر النخعي ،
لا ولاء على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر - وهو أطول
عهوده وأجمع كتبه للمحاسن يصلح مرجعا لكل حاكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أمر به عبد الله عليُّ أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث
الأشتر في عهده إليه ، حين ولَّاه مصر : جباية خراجها ،
وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ،
تقوى الله أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في
كتابه : من فرائضه وسننه ، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ،
ولا يشقي إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله
سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فإنه - جلَّ اسمه - قد تكفل
بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه .

مراقبة وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ،
النفس فإن النفس أمارَةٌ بالسوء ، إلا مارحم الله .

ثم اعلم - يامالك - أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت
عليها دولٌ قبلك ، من عدلٍ وجورٍ ، وأن الناس ينظرون من

أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ،
وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَى
الصَّالِحِينَ بِمَا يَجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ
الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ وَشَحْ
بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ ^{الرَّحْمَةُ}
مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ . وَاشْعُرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَةِ ، ^{بِالرَّعِيَةِ}
وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا
تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ
نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعُلُ ،
وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا ، فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تَحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ
وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ
فَوْقَ مَنْ وَلَائِكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ ، وَلَا
تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى
بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ
بِعَقُوبَةٍ ، وَلَا تَسْرَعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَدْوُوحَةً ، وَلَا
تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ،
وَمِنْهُكَ لِلدِّينِ ، وَتَقَرَّبُ مِنَ الْغَيْرِ .

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سُلْطَانِكَ أبْهَةً أو مَخِيلَةً ،
فانظر إلى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فوقك ، وقُدْرَتِهِ منك على ما لا تقدر
عليه من نفسك ، فإنَّ ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف
عنك من غربك ، ويفيُّ إليك بما عذب عنك من عقلك .
إياك ومساماة الله في عَظَمَتِهِ ؛ والتَّشَبُّه به في جَبَرُوتِهِ ، فإنَّ
الله يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، ويُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

العدل والانصاف
انصِفَ الله وانصِفَ الناسَ من نَفْسِكَ ومن خَاصَّةِ أَهْلِكَ
ومن لك فيه هوي من رَعِيَّتِكَ ، فإنَّك إِلا تفعل تَظْلِمَ ، وَمَنْ
ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ
أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ ، وَلَيْسَ
شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نَقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى
ظَلَمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُظْطَهِّدِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ
بِالْمِرْصَادِ .

الوسط العادل
وَلَيْكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَاهَا فِي
الْعَدْلِ ؛ وَأَجْمَعْهَا لِرِضَا الرِّعْيَةِ ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَةِ يَجْجِفُ بَرِضًا
الْخَاصَّةَ ، وَإِنْ سَخَطَ الْخَاصَّةَ يَغْتَفِرَ مَعَ رِضَا الْعَامَةِ ، وَلَيْسَ
أَحَدٌ مِنَ الرِّعْيَةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مُؤُونَةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَ

معوونة له في البلاء ، وأكره للإِنصاف ، واسأل بالإلحاف ،
وأقل شكراً عند الإِعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف
صبراً عند ملومات الدهر من أهل الخاصة . وإنما عمادُ
الدين وجماعُ المسلمين ، والعدة للأعداء العامةُ من الأمة ،
فليكن صَفُوكَ لهم ، ومِثْلُكَ معهم .

وليكن أبعد رعيته منك ؛ وأشأنهم (١) عندك أطلبهم
لمعائب الناس ؛ فإن في الناس عيوباً ، الوالي أحق من
سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك
تطهير ما ظهر لك . والله يَحْكُمُ على ما غاب عنك . فاستر
التوبة ما استطعت ، بستر الله منك ما تريد . بستر
رعيته . أطلق عن الناس عقدة كل عقدة ، واقطع عنك
سبب كل ونر (٢) ، وتغاب عن كل ما لا يصلح لك ، ولا تعجلن
إلى نعيمك سائغ ، فإن السائغ شائن ، وإن تشبه بالناس سمين .
ولا تمشن في مشورتك ، ولا بمانك بمان من المشرك .
ويملك الفسق ، ولا بماناً يضره لك عن الأعداء . ولا تزيه
يزين لك الشر بالخير ، فإن البسمل والعن والبرح

(١) أشأنهم :
(٢) الإِدْنَام أو الإِدْنَام :

غرائز شتي ، يجمعها سوء الظن بالله .

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن
شَرِكَهُمْ في الآثام فلا يكونن لك بطانة ؛ فإنهم أعوان
الآثمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف
ممن له مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثل آصارهم (١)
وأوزارهم (٢) ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على
إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة . وأحني
عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك
وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك .
وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعا
ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ،
ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله .
فإن كثرة الأطراء تحدث الزهو . وتدني من العزة .

محاسبة
المستولين
ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في
ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان . وتدريباً لأهل
الإساءة على الإساءة

(١) الاصر : الدنب .
(٢) الوزر : الآثم .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، السنة
الصالحة واجتمعت بها الالفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن
سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن ، فيكون الأجر لمن
سنها ، والوزر بما نقضت منها .

وأكثر مدارس العلماء ، ومنافذة الحكماء في تثبيت
ماصلح عليه أمر بلادك ، وإقامة مااستقام به الناس
قبلك .

وتصنيف
الامة
وتعاونها واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا
غني ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب
العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف
والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة
الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة
السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمي الله له
سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم - عهداً منه عندنا محفوظاً .
فالجنود ، بإذن الله ، حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز
الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم
لاقوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي

يقولون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم
 ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين
 إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما
 يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع . ويؤمنون عليه
 من خواص الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار
 وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم
 وقيموه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم
 ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة
 والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل
 سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج
 الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام
 والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر
 عليه فيما يخفف عليه أو ثقل ، فَوَلِّ من جنودك أنفسهم في
 نفسك لله ورسوله ولأسائه ، وأنتاهم جنبياً ، وأغفلهم
 أولاً ، ومن يبطلني عن الشيء ، لا يستقر معي إلى المآل ،
 ورواها في فضائله ، ويذكره في الشكر ، ويذكره في الشكر ،
 الذي لا يقدر به النسيان .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشتبه عليك
من الأمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) .
فالرد إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، ، والرد إلى الرسول
الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك
من لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادي
في الزلة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف
نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدني فهم دون أقصاه ،

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم
محاباة واثرة ، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة .
وتوخ منهم أهل التجربة والسياسة ، من أهل البيوتات
الصالحة والقدام في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أعلام
وأوسع أعراساً ، وأقل من الملامع إشفاقاً ، وأغلب في هوافب
الأمور نظراً . ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم
على استصلاح أنفسهم ، ونفى لهم عن تناول ما تحت

أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم
تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء
عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدودهم لهم على
استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان ،
فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه
عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه
العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته
بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .
وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه
وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ،
لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك
في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ،
لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير
عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا
قليلاً . فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة ،
أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش ، خففت
عنهم ، بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك

شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك
في عمارة بلادك ، وإنما يؤتي خراب الأرض من إعواز أهلها
وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم
بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر في حال كتابك فَوَلَّ على أمورك خيرهم ،
واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائده وأسرارك
بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة
فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملائكة ، ولا تقصر
به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار
جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأخذ لك ويعطي منك ،
ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق
ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن
الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يكن
اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن
منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم
وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة
شيء . ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد
لأحسنهم كان في العامة أثراً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن

ذلك دليل على نصيحتك لله ولن وليت أمره . واجعل
لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها . ولا
يشئت عليه كثيرها . ومهما كان في كتابك من عيب
فتغابيت عنه ألزمته .

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم
خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فإنهم
مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح
في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس
لمواضعها ولا يجترئون عليها . فإنهم سلم لا تخاف بائقته
وصالح لا تخشي غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك
وفي حواشي بلادك .

استصلاح
التجار
والصناع

واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقاً فاسخاً ، وشحاً
قبيحاً . واحتكاًراً للمنافع . وتحكماً في البياعات . وذلك
باب مضرة للعامة . وغيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ،
فإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منع منه ، وليكن
البيع بيعاً سمحاً : بموازين عدل . وأسعار لا تصحف
بالفريقين من البائعين والمبتاعين ، فمن قارف حكرة بعد

نهيك إياه فنكل به ، وعاقبه في غير إسراف .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من رعاية المحتاجين المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمني ، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا . واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقضي منهم مثل الذي للأدني ، وكل قد استرعت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تُصعّر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال . ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه . . . فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه . وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقیل - والحق كله ثقیل - . وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتي يكلمك متكلمهم غير متمتع ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول في غير موطن : «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ» . ثم احتمل الخرق منهم والعِي ، ونح عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار .

النظم ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها : منها إجابة **الاداري** عمالك بما يعيا عنه كُتَّابُكَ ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك . وأمضي لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم مافيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأَجْزَلَ تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية .

العبادة وليكن في خاصة ماتخلص به لله دينك : إقامة فرائضه

التي هي له خاصة ، فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ،
ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم
ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ . وإذا قمت في صلاتك
للناس ، فلا تكونن منفراً ولا مضيئاً ، فإن في الناس من
به العلة وله الحاجة . وقد سألتُ رسول الله - صلى الله
عليه وآله وسلم - حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي
بهم ؟ فقال : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيماً . »

أما بعد ، فلا يَطولن احتجاجك عن رعيتك ، فإن
 احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم
 بالأمور ، والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتججوا
 دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح
 الحسن ، ويحسن القبيح ، ويُشَاب الحق بالباطل . وإنما
 الوالي بشر لا يعرف ماتواري عنه الناس به من الأمور ،
 وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من
 الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤٌ سَخَت نفسك
 بالبذل في الحق ، ففيم احتجاجك من واجب حقٍّ تعطيه ، أو
 فعلٌ كريمٌ تسديه ، أو مبتلي بالمنع ، فما أسرع كف
 الناس عن مسألتك إذا آيسوا من بَذْلِكَ مع أن أكثر
 حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة
 مظلومة أو طلب إنصاف في معاملة .

الاحتباس ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة
من البطانة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك
 الأحوال . ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ،
 ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة ، تضر بمن يليها من
 الناس ، في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على

غيرهم ، فيكون مهناً ذلك لهم دونك ، وعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي
الدنيا والآخرة .

والزِّم الحق من لزمه من القريب والبعيد . وكن في ذلك
صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصَّتكَ حيث
وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك
محمودة .

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر^(١) لهم بعذرِكَ ، واعدل
عنك ظنونهم باصْحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك
ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم
على الحق .

المهود
والمصالحات
ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا ، فإن
في الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ،
ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو
ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن
الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته
منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل
نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله

(١) أظهره .

شيء الناس أشد عليه اجتماعاً ، مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوئلوا من عواقب الغدر فلا تغدون بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجتري على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحرماً يسكنون إلى منعه ، ويستفيضون إلى جواره . فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر ، لزمك فيه عهد الله ، إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته . وأن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .

الدماء إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدني لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحري بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدي بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه

ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي
في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن . وإن ابتليت بخطي
وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن
في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة
سلطانك عن ان تؤدى إلى أولياء المقتول حَقَّهم
وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ،
وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في
نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

وإياك والمن على رعيته بإحسانك ؛ أو التزيد فيما كان المن على
من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعده بخلفك ، فإن المن ^{الرعية}
يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف
يوجب المقت عند الله والناس . قال الله تعالى : (كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

وإياك والعجلة بالأُمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها الزناة
عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها
إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل
أمر موقعه .

ضبط
وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والتغابي عما النفس

تعني به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك . وعما
قليل تنكشف عنك أغطيّة الأمور ، ويُنتَصَفُ منك
للمظلوم ، أملكُ حميَّةَ أنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ،
وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ،
وتأخير السطوة ، حتي يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن
تُحكِمَ ذلك من نفسك حتي تكثر همومك بذكر المعاد
إلى ربك .

حسن
الاعتدال

والواجب عليك أن تتذكر ماضي لمن تقدمك من
حكومة عادلة ، أو سنّة فاضلة ، أو أثر عن نبينا - صلى الله
عليه وآله وسلم - أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما
شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع
ما عهدتُ إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجج
انفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى
هواها . وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على
إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة
على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في
العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف
الكرامة ، وأن يختتم لي ولك بالسعادة والشهادة ، إنا إليه

راجعون . والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تسليماً كثيراً ، والسلام

وصية علي لابن الحسن

ومن وصية لعل بن ابي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما - كتبها اليه بحاضرين (١) منصرفاً من صفين ، يصف نفسه واولاده في معرض الوعظ والتنفير من الدنيا .

من الوالد الفان ، المقر للزمان (٢) ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الدائم للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ؛ والظاعن عنها غداً ، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك (٣) ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ؛ وحليف ألهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ؛ وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات .

أما بعد ، فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني

(١) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين .

(٢) المعترف له بالشدة .

(٣) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد .

وَجُمُوحُ الدَّهْرِ (١) عَلَيَّ ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ
 مَنْ سِوَايَ ، وَالْاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي
 دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأْيِي ، وَصَرَفَنِي عَنْ
 هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَقْضِي بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ
 فِيهِ لَعَبٌ ، وَصِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ
 وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ
 الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ
 نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتَظْهِرًا بِهِ (٢) إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ
 أَوْ فَنَيْتُ .

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَيِ بُنْيٍ - وَلُزُومِ أَمْرِهِ ،
 وَعِمَادَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَ اللَّهِ إِنَّ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ

أَخِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمَّتُهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوَّهِ بِالْيَقِينِ ،
 وَنَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ (٣) ،
 وَبَصَّرَهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا ، وَحَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وَفُحْشَ
 تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذَكَّرْهُ

(١) استعصاء الدهر وتغلبه .

(٢) مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك .

(٣) اطلب منه الاقرار بالفناء .

بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ
وَأَثَارِهِمْ فَاَنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا ؟ وَعَمَّا انْتَقَلُوا ؟ وَأَيْنَ حَلُّوا
وَنَزَلُوا ؟ ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ ، وَحَلُّوا
دِيَارَ الْعُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ ، فَأَصْلَحْ
مَثْوَاكَ ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا
لَا تَعْرِفُ ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ ، وَامْسِكْ عَنْ طَرِيقِ
إِذَا خَفْتَ ضَلَالَتَهُ ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ
مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَانْكِرِ
الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وَبَايِنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ (١) وَجَاهِدْ
فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَخُضِ
الْغَمَرَاتِ (٢) لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ، وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّدْ
نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ ، وَالْجِيءَ
نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ
حَرِيزِ (٣) ، وَمَانِعِ عَزِيزٍ ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ ، فَإِنْ
بَيْدَهُ الْعَطَاءُ وَالْحَرَمَانُ ، وَأَكْثَرَ الْاسْتِخَارَةِ (٤) وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ،

(١) باين : أى باعد وجانب الذي يفعل المنكر .

(٢) الغمرات :- الشدائد .

(٣) الكهف : الملجأ . والحريز : الحافظ .

(٤) الاستخارة : اجالة الرأى في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .

ولا تذهبن عنها صفحاً (١) فإن خير القول مانع ، واعلم
أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق
تعلمه .

أي بُني .. إني لما رأيتني قد بلغت سنًا ، ورأيتني
أزداد وهناً ، بادرتُ بوصيتي إليك ، وأوردت خلاصاً
منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في
نفسي ، وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو
يسبقني إليك بعض غلبات الهوي' وفتن الدنيا ، فتكون
كالصعب النفور (٢) وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية
ما ألقى فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن
يقسو قلبك ، ويشغل لبك ، لتستقبل بجدة رأيك من الأمر
ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد
كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك
من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم
علينا منه .

الاعتبار أي بُني ... إني وإن لم أكنُ عُمِّتُ عُمر من كان
بمن مهي

(١) تذهب عنها صفحاً : أي لا تعرض عنها .
(٢) الصعب : الفرس غير المذل ، والنفور : ضد الانس .

قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتي عدت كأحدهم ، بل كأنني بما انتهي إلي من أمورهم قد عُمِّرت مع أولهم إلي آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نَخِيلَهُ (١) وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عنائي من أَمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذونية سليمة ونفس صافية ، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهَلَكَةَ ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك وصيتي هذه .

الوصية

بالتقوى

واعلم يا بني ، أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوي الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما

(١) النخيل : المختار المصفى .

مضي عليه الأولون من آباءك ، والصالحون من أهل بيتك ،
فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا
كما أنت مفكر ، ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما
عرفوا ، والإمساك عما لم يكلّفوا ، فإن أبت نفسك أن
تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك
بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات ، وابدأ
قبل نظرك في ذلك بالاستعانة باللهك ، والرغبة إليه في
توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك (١) في شبهة ، أو
أسلمتك إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك
فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك همّاً
واحداً ، فانظر فيما فسرت لك ، وإن لم يجتمع لك
ماتحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما
تخبط العشواء (٢) وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من
خبط أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل .

فتفهم يابني وصيتي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك
الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المُنْفي هو المعيد ، وأن

(١) أو لجتك : أدخلتك .

(٢) العشواء : الضعيفة البصر .

المبتلي هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء ، والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك (١) .

واعلم يا بني أن أحداً لم ينبي عن الله كما أنبأ عنه الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فارض به رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، فإنني لم آلك نصيحة (٢) وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك - وإن اجتهدت - مبلغ نظري لك . براهين وحدانية

واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا يزول أبداً ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية (٣) ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عظم عن أن تثبت

(١) شفقتك : خوفك .

(٢) لم آلك نصيحة : أي لم أقصر في نصيحتك .

(٣) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها ، إلا أنه لا أولية ، أي

ابتداء له .

ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فافعل
كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره ، وقلة
مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه ، في
طلب طاعته ، والرغبة من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فإنه
لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح .

يا بني .. إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ،
وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها ، وضربت لك
فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها ، إنما مثل من
خبر الدنيا كمثل قوم سفر^(١) نبا بهم منزل جديب فأثموا
منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً^(٢) فاحتملوا وعثاء الطريق^(٣) وفراق
الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة^(٤) المطعم ، ليأتوا سعة
دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك
ألماً ، ولا يرون في نفقة مغرمًا ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم
من منزلهم ، وأدناهم من محلهم .

ومثل من اغترَّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبا

(١) سفر : مسافرون .
(٢) جناباً مريعاً : ناحية كثيرة العشب .
(٣) وعثاء الطريق : مشقته .
(٤) جشوبة المطعم : الغلظ .

بهم إلى منزل جديب ، فليس شيءٌ أكره إليهم ولا أفظع
عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه
ويصيرون إليه .

يابني ... اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، ميزان
الأعتدال فأحب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها ، ولا
تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن
يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك ،
وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل
مالا تعلم وإن قلّ ماتعلم ، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك ،
واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب ، فاسع
في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك (١) ، وإذا أنت هديت
لقصدك ، فكن أخشع ماتكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذامسافة بعيدة (٢) ومشقة شديدة ،
وأنه لا غني لك فيه عن حسن الارتياح ، قدر بلاغك من
الزاد مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك
فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، وإذا وجدت من أهل

(١) أي لا تخزن المال لياخذه الوارثون بعدك ، بل انفق فيما يرضى الله
(٢) هو طريق السعادة الأبدية .

الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة ، فيوافيك به
غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من
تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم
من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاؤه لك في يوم
عسرتك .

الجنة والنار واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً (١) ، المخيف فيها أحسن
حالا من المثل ، والمبطي عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن
مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك
قبل نزولك ، ووطي المنزل قبل حلولك ، فليس بعد
الموت مستعجب (٢) ، ولا إلى الدنيا منصرف .

الجنة في الله واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض ، قد أذن
لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمر أن تسأله
ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه
من يحجبه عنك ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ،
ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعالجك
بالنقمة ، ولم يعيرك بالإنبابة (٣) ولم يفضحك حيث الفضيحة

(١) صعبة المرتقى .

(٢) الاستعجاب : الاسترضاء .

(٣) الرجوع إلى الله .

بك أولى ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك
بالجريمة ، ولم يؤيسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن
الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك
عَشْرًا ، وفتح لك باب المتاب ، فإذا ناديتَه سمع نداءك ، وإذا
ناجيتَه علم نجواك ، فأفضيت إليه بحاجتك ، وأبثثته (١) ذات
نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفتَه كروبك ،
واستعنته على أمورك ، وسألتَه من خزائن رحمته ما لا يقدر
على إعطائه غيره من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة
الأرزاق ، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك
من مسألتَه ، فمتي شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ،
واستمطرت شآبيب رحمته (٢) فلا يقنطنك إبطاء إجابته ،
فإن العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك الإجابة
ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل ، وربما
سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً ،
أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه
هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقي لك

(١) كاشفتَه .

(٢) الشؤبوب : الدفعه من المطر .

جماله ، وينفي عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك ولا تبقي له .
واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللبقاء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة ، وأنك في منزل قلعة (١) ودار
بلغة (٢) ، وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو
منه هاربه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر أن
يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها
بالتوبة ، فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا انت قد اهلكت
نفسك .

ذكر الموت

يابني ، أكثر من ذكر الموت ، وذكر ماتهم
عليه ، وتفضي بعد الموت اليه ، حتي يأتيك وقد
اخذت منه حذر ، وشدت له أزر ، ولا يأتيك بغتة
فيبهرك ، وإياك أن تغتر بما تري من إخلاد أهل الدنيا
إليها ، وتكالبهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونعت لك
نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فإن أهلها كلاب
عاوية ، وسباع ضارية ، يهرُّ بعضها بعضا ، ويأكل

(١) لا يدري متى يتنقل عنه .

(٢) البلغة : الكفاية .

عزیزها ذلیلها ، ویقهر کبیرها صغیرها .
نعم معقلة ، وأخري مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت
مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث . ليس لها راع يقيمها ،
ولا مقيم يسيميها ، سلكت بهم الدنيا طريق العمي ، وأخذت
بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا
في نعمتها ، واتخذوها رباً ، فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا
ماوراءها .

الترفق في الطلب

رويدا يُسْفِر الظلام ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْطَاعُ ، يوشِكُ
مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ ، واعلم أن من كانت مطيته الليل
والنهار ، فإنه يُسَار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن
كان مقيماً وادعاً .

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنتك
في سبيل من كان قبلك ، فخفض في الطلب ، وأجمل في
المكتسب ، فإنه رُبَّ طلب قد جرَّ الي حرب ، فليس كل طالب
بمرزوق . ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن
كل دنية ، وإن ساقتك إلى الرغائب . فإنك لن تعتاض بما
تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك

الله خراً ، وما خير خيرٍ لا يُنال إلا بشرٍّ ، ويُسر لا يُنال إلا بعُسْر .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مُدركُ قِسمك ، وآخذُ سهمك ، وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه .

« وصاياشتي »

وتلافيك مفرط من صمتك أيسر من إدراكك مافات من منطلقك ، وحفظ مافي الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ مافي يديك أحب إليّ من طلب مافي يد غيرك ، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغني مع الفُجور ، والمرء أحفظ لسره . ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تفكّر أبصر ، قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبين عنهم . بثس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً ، ربما كان الدواء داءً ، والداء دواء ، وربما نصح غير الناصح وغشّ المستنصح ، وإياك

واتكالك على الأُمْنِي فإنها بضائع الموتى ، والعقل حفظ
التجارب ، وخير ما جربْتَ ما وعظكَ ، بادر الفرصة قبل
أن تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب
يؤوب ، ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد ، ولكل
أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب
يسير أنمى من كثير ، لا خير في معين ولا في صديق
ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشيء
رجاء أكثر منه ، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج .

احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة ، وعند حق الأخ
صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ،
وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند
جرمه على العذر حتي كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك .
وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير
أهله ، لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ،
وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وتجزع
الغيظ فإنني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة ، ولئن
لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك
بالفضل فإنه أحلى الظفرين ، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق

له من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما ، ومن
ظن بك خيراً فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا
على ما بينك وبينه ، فإنه ليس لك بأخ من أضعت
حقه ، ولا يكن أهلك أشقي الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن
زهديك ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على
صلته ، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ،
ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه يسعى في مضرتة
ونفعك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

امرالرزق واعلم يا بني ، أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق
يطلبك ، فإن أنت لم تأته أذاك ، ما أقبح الخضوع عند
الحاجة ، والجفاء عند الغني ، إن لك من دنياك ما أصلحت
به مثواك ، وإن جزعت على ماتفلت من يديك فاجزع
على كل مالم يصل إليك ، استدل على مالم يكن بما قد
كان ، فإن الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة
إلا إذا بالغت في إيلامه ، فإن العاقل يتعظ بالآداب ،
والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم
بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار ،
والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوي

شريك العناء ، رُبَّ قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدي الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقي له ، وأوثق سبب أخذت به سَبَبُ سَبَبٍ بينك وبين الله ، ومن لم يبالك فهو عدوك ، قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً ، ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده . آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته ، وقطيعه الجاهل تعدل صلة العاقل ، من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه ، ليس كل من رمي أصاب ، إذا تغير السلطان تغير الزمان ، سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وعن الجار قبل الدار ، إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكاً ، وإن حكيت ذلك عن غيرك .

الرأى في المرأة

ولإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب أبقي عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن اسطعت أن

لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ماجاوز
نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، ولا تعد
بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في أن تشفع بغيرها . وإياك
والتغاير في غير موضع غيره ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى
السقم ، والبريئة إلى الريب ، واجعل لكل إنسان من خدمك
عملا تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك ،
وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذي تطير به ، وأصلك
الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصبول .

دعاء

أستودع الله دينك ودنياك . . . واسأله خير القضاء لك
في العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسلام .

وصية علي كميل بن زياد

قال كميل بن زياد : أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه
السلام - فأخرجني إلى « الجبان » وتنفس الصعداء ، ثم قال :

يا كميل بن زياد ؛ إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها
أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ،

وهمج رعا ع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم
يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .
يا كميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت
تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على
الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .
يا كميل بن زياد .. معرفة العلم دين يُدَّان به ، به
يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الأُحدوثة بعد
وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .
يا كميل ، هلك خزان الأموال ، وهم أحياء والعلماء باقون
مابقي الدهر : أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب
موجودة ، ها إن ههنا لعلماً جمّاً (وأشار بيده إلى صدره) لو
أصبت له حملة ؟ بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملا
آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده ، وبحججه
على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق ، لا بصيرة له في
أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا
لاذا ولا ذاك ؟ أو منهُوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أو
مغرمّاً بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب
شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة !! كذلك يموت العلم بموت

حامليه .

اللهم بلى!! لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة ، إما
ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله
وبيناته ، وكم ذا وأين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقلون
عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حججه
وبيناته ، حتي يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب
أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا
روح اليقين ، واستلانوا ما استعوره المترفون ، وأنسوا بما
استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها
معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة
إلى دينه . . . آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ، إنصرف يا كميل
إذا شئت .

الباب الثالث
من وصايا حكماء الجاهلية

وصية أكثم بن صيفي إلى طيئ

روى أبو الفضل الميداني في مجمع الامثال ان أكثم بن صيفي كتب الى طيئ بوصية ، هي :

«أوصيكم بِتَقْوَيِ اللَّهِ وَصِلَةِ الرَّحْمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحِ
الْحَمَقَاءِ فَإِنْ نَكَاحَهَا غُرِرَ (١) ، وَوَلَدَهَا ضِيَاعٌ ، وَعَلَيْكُمْ
بِالْخَيْلِ فَأَكْرَمُوهَا ، فَإِنَّهَا حِصُونُ الْعَرَبِ ، وَلَا تَضَعُوا رِقَابَ
الْإِبِلِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا ، فَإِنْ فِيهَا ثَمَنُ الْكَرِيمَةِ (٢) ، وَرَقْوَاءُ (٣)
الْإِبِلِ ، وَبِالْبَانِهَا يَتَحَفُّ الْكَبِيرُ ، وَيَغْذِي الصَّغِيرُ ، وَلَوْ أَنَّ
الْإِبِلَ كَلَّفْتَ الطَّحْنَ لَطَحَنْتَ ، وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُكُمْ عَرَفَ
قَدْرَهُ ، وَالْعُدْمُ عُدْمُ الْعَقْلِ لَا عَدَمُ الْمَالِ ، وَلِرَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ
أَلْفِ رَجُلٍ ، وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ
رَضِيَ بِالْقَسَمِ (٤) طَابَتْ مَعِيشَتُهُ ، وَآفَةُ الرَّأْيِ الْهُوْيُ ،
وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ (٥) ، وَالْحَاجَةُ مَعَ الْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْبَغْضِ مَعَ
الْغِنَى ، وَالدُّنْيَا دُولٌ : فَمَا كَانَ لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَمَا
كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ»

(١) مخاطرة .

(٢) يريد مهرها .

(٣) رقاً الدم :- جف وسكن ، والمعنى أنها تعطي في الديات فتحقن الدم .

(٤) القدر .

(٥) في رواية (أملك من الأدب) .

والشماتة تُعَقِّب . وَمَنْ يَرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ ، قبل الرَّماء تُمْلَأُ
 الْكِنَائِن ، الندامة مع السفاهة ، دعامة العقل الحلم ، خير
 الأمور مغبَّة الصبر ، بقاء المودة عدل التعاهد (١) ، مَنْ يَزُرُ
 غَبًا يُزِدُّد حُبًّا ، التغيرير مفتاح البؤس ، من التواني والعجز
 نُتِجَتِ الهلكة (٢) ، لكل شيء ضراوة (٣) ، فَضُرَّ لسانك
 بالخير ، عِي الصمت أحسن من عِي المنطق ، الحزم حفظ
 ما كُلِّفَت وترك ما كُفِيت . كثير التنصح يهجم على
 كثير الظنة .

مَنْ أَلْحَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلَ ، مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ
 حتمية خُرج أعرابي هارباً من الطاعون فلدغته أفعى في
 الأجل طريقه فمات ، فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبْغِي مَجُوءٌ	مِنْ هَلَاكَ فَهَلَكَ
لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةٌ	أَيَّ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ ؟
طافَ يَبْغِي مَجُوءٌ	مِنْ هَلَاكَ فَهَلَكَ
لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةٌ	أَيَّ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ ؟
وَالْمَنَايَا رَصْدُ	لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ	حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ

(١) في استقامة التعاهد والحرص على سلامة الشروط .
 (٢) ويروي (نتجت الفاقة) .
 (٣) تعود .

وصية ذي الأصبع العدوانى لابنه (١)

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذوالأصبع دعى ابنه أسيدا فقال له :

« يَا بُنَيَّ ، إِنْ أَبَاكَ قَدْ فَنِي وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمَّ
الْعَيْشَ ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا أَنْ حَفَظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ
مَا بَلَغْتُهُ فَاحْفَظْ عَنِّي : أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يَحْبُوكَ ، وَتَوَاضِعْ
لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ
عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَسُودُوكَ . وَاکْرَمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تَكْرَمْ
كِبَارَهُمْ ، يَكْرَمْكَ كِبَارُهُمْ ، وَيَكْبِرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صَغِيرُهُمْ ،
وَاسْمَحْ بِمَالِكَ . وَاحْمِ حَرِيمَكَ ، وَاعْزِزْ جَارَكَ ، وَأَعْنِ
مَنْ اسْتَعَانَ بِكَ . وَاکْرَمْ ضَيْفَكَ ، وَاسْرِعْ إِلَى النَّهْضَةِ فِي
الصَّرِيخِ فَإِنْ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ ، وَصِنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ
أَحَدٍ . فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سَوْدُكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أُسَيْدُ إِنْ مَالًا مَلَكْتُ — تَ فَسِرْ بِهِ سِيرًا جَمِيلًا
آخِي الْكَرَامِ أَنْ اسْتَطَعْتُ — تَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
وَاشْرَبْ بِكَأْسِهِمْ وَإِنْ شَرَبُوا بِهِ السَّمَّ الثَّمِيلَا
أَهْنِ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذُلُولَا

(١) كتاب الاغانى : الجزء الثالث .

إن الكرام إذا تَوَّأ ودع الذي يعد العشي
 أبني إن المال لا أأسيد إن أزمعت من
 فاحفظ وإن شحط المزا واركب بنفسك إن هممت
 وصل الكرام وكن لمن ودع التواني في الأمو
 وابسط يمينك بالندي وابسط يديك بما ملك
 واعزم إذا حاولت أم ابذل لضيئفك ذات رح
 واحلل على الأيفساع للعا وإذا القروم تخاطرت
 فاهصر كهصر الليث خَصَّ وانزل إلى الهيجا إذا
 وإذا دعيت إلى المهم فك

خيهم وجدت لهم قبولا يرة أن يسيل ولن يسىلا
 يبكي إذا فقد البخىلا بلد إلى بلد رحيلا
 ر أخا أخيك أو الزمىلا بها الحزونة والسهولا
 ترجو مودته وصولا ر وكن لها سلساً ذلولاً
 وامدد لها باعاً طويلاً ت وشيد الحسب الأثيلاً
 رأ يفرج الهمم الدخيلاً لك مكرماً حتي يزولا
 فين واجتنب المسىلاً يوماً وأرعدت الحصىلاً
 ب من فريسته التليلاً أبطالها كرهوا النزولاً
 ن لفادحه حمولاً

وصية أمانة بنت الحارث لابنتها (١)

كان ملك من ملوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندي . بلغه عن ابنة لعوف الكندي جمال وكمال ، وهو الذي يقال له : لا احد يشبهه عوفا جمالا وكمالا ، فبعث الى امرأة من قومها ، يقال لها عصام ، فقال : انه بلغني عن بنت عوف جمال وكمال ، فاذهبي ، فاعلمي لى علمها .

فانطلقت حتى اذا دخلت على أمها ، وهي أمانة بنت الحارث ، فاخبرتها خبر ما جاءت له ، واذا أمها كانها خاذل (٢) من الأطباء ، وحولها بنات لها كأنهن شوادن (٣) الغزلان فارسلت الى ابنتها ، فقالت يا بنية ، ان هذه خالتك أتك لتنظر الى بعض شأنك فاخرجي اليها . ولا تستتري عنها بشيء ، وناطقها فيما استنطقك فيه فدخلت عليها ، ثم خرجت من عندها وهي تقول :

« تَرَكَ الخَدَاعَ مِنْ كَشَفِ القِنَاعِ » . فأرسلتها مثلا

فلما جاءت الى الحارث قال : ماوراك يا عصام ؟

قالت : أيها الملك ، صرَّح المخض عن الزبد . فارسلتها

مثلا .

ثم قالت : اقول حقا ، واخبرك صدقا : ثم وصفتها وصفا دقيقة مفصلا كما جمل الفتيات حسنا .

فبعث الحارث الى أبيها يخطبها فزوجها اياه .

فلما حان ان تحمل الى بيت زوجها او صتها أمها فقالت :-

« أَيُّ بَنِيَّةٍ ؛ إِنْ الوَصِيَّةُ لَوْ تُرِكَتْْ لعقل وأدب . أو

مكرمة في حَسَبٍ لتركْتْْ ذلك منك . ولزَوَيْتُهُ عنك . ولكن

(١) « المعمرن والوصايا »

(٢) الخاذل :- الظبية أقامت على ولدها .

(٣) المستغنية عن أمهاتها .

الْوَصِيَّةُ تَذَكُّرَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَمَنْبَهَةٌ لِلْغَافِلِ .

أَيُّ بَنِيَّةٍ ؛ إِنَّهُ لَوْ اسْتَغْنَتْ الْمَرْأَةُ بِغْنِي أَبَوَيْهَا وَشَدَّةِ حَاجَتِهَا إِلَيْهَا لَكُنْتُ أَغْنِي النَّاسَ عَنِ الزَّوْجِ ، وَلَكِنْ لِلرِّجَالِ خُلِقَ النِّسَاءُ ، كَمَا لَهُنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ .

أَيُّ بَنِيَّةٍ ، إِنَّكَ قَدْ فَارَقْتَ الْحَوَاءَ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَالْوَكْرَ الَّذِي مِنْهُ دَرَجْتَ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفْهُ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفْهُ ، فَأَصْبَحَ بِمُلْكِهِ عَلَيْكَ مُلْكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا ، وَاحْفَظِي عَنِّي خِلَالَ عَشْرًا ، تَكُنْ لَكَ دَرَكًا وَذِكْرًا ، فَأَمَّا الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةُ فَالْمَعَاشِرَةُ لَهُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَحَسَنَ السَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ فِي الْقَنَاعَةِ رَاحَةُ الْقَلْبِ ، وَحَسَنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ رَأْفَةُ الرَّبِّ .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ : فَلَا تَقْعَ عَيْنَاهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَشْمُ أَنْفَهُ مِنْكَ إِلَّا طِيبَ الرِّيحِ . وَاعْلَمِي ، أَيُّ بَنِيَّةٍ ، أَنَّ الْمَاءَ أَطْيَبَ الطِّيبِ الْمَفْقُودِ ، وَأَنَّ الْكُحْلَ أَحْسَنَ الْحَسَنِ الْمَوْجُودِ . وَأَمَّا الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ : فَالْتَّعَاهِدْ لَوْ قَتَ طَعَامَهُ ، وَالْهُدُوءَ عِنْدَ مَنَامِهِ ، فَإِنْ حَرَارَةُ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ ، وَتَنْغِيصُ النَّوْمَةِ مَغْضَبَةٌ .

وَأَمَّا السَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ : فَالِاحْتِفَازَ بِمَالِهِ ، وَالرَّعَايَةَ عَلَى حَشْمِهِ (١) وَعِيَالِهِ ، فَإِنَّ الْإِحْتِفَازَ بِالْمَالِ مِنْ حَسَنِ التَّقْدِيرِ ،

(١) ذُو الْقَرْبَى .

والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .
وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشي له سرّاً ، ولا تعصي له
أمرّاً ، فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمني غدره ، وإن عصيت
أمره أو غرت صدره .

وأتقي الفرح لديه إن كان ترحاً (١) ، والا كتئاب عنده
إذا كان فرحاً ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من
التكدير .

واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتي تؤثري هواه
على هواك ، ورضاه على رضاك ؛ فيما أحببت وكرهت .
والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته .
فلما حملت اليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .

كتاب اکثم إلى النعمان بن خميصة

روى ابو هلال العسكري في جمهرة الامثال قال :
كتب النعمان بن خميصة البارقي الى اكثم بن صيفي « مثل لنا مثالا
ناخذ به » فقال :

« قد حلبت الدهر أشطره فعرفت حُلوه ومُرّه »
عين عرفت فذرفت . (٢) إن أمامي مالا أسامي (٣) . رَبُّ

(١) الترح ضد الفرح .
(٢) عرفت حقيقة الأمور .
(٣) أباري .

سامعٍ بِخَبَرِي لم يسمع بعذري . كُلُّ زمانَ لَمَنْ فِيهِ . في كل يوم ما يُكْرِه . كل ذي نُصْرَةٍ سَيُخْذَل . تَبَارَوْا فَإِنْ الْبِرُّ يَنْمِي عَلَيْهِ الْعَدَد . كَفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ . فَإِنْ مَقَتِلَ الرَّجُلَ بَيْنَ فِكْئِهِ . إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدَعْ لِي صَدِيقاً ، الصَّدَقُ مَنْجَاةٌ .

لا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّي ، وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ التَّوَقُّي . سَتَسَاقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاق ، فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ (١) . الْاِقْتِصَادُ فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ (٢) مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى مَافَاتِهِ وَدُخَّ بَدَنِهِ ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ (٣) . أَصْبَحَ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ . وَيَلُ لِعَالِمٍ أَمْرٌ مِنْ جَاهِلِهِ ، يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ .

الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ (٤) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ حُمَقٌ ، وَالْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفَنٌ (٥) . لَا تَغْضَبُوا مِنَ الْيَسِيرِ فَرَبِمَا جَنَى الْكَثِيرُ . لَا تَجِيبُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ . وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحَكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ ، كُونُوا جَمِيعاً ؛ فَإِنْ

-
- (١) في جمهرة الامثال « يكون العز » .
 (٢) الراحة والقوة .
 (٣) فكر في التقدم قبل ان تندم على العمل .
 (٤) سادة القوم والمتفوقون في فنونهم .
 (٥) ضعف الرأي والعقل .

الجمع غالب . تثبتوا ولا تُسارعوا فإن أحزم الفريقين
الركيين (١) .

رَبُّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا (٢) . ادْرِعُوا اللَّيْلَ (٣) واتخذوه جَمَلًا :
فإن الليل أخفي للويل ؛ ولا جماعة لمن اختلف . تناهوا في
الديار ولا تَبَاغَضُوا . فإنه من يجتمع يتققق (٤) عَمَدُهُ .
الزُّمُوا النساءَ المهابة (٥) . نعم لَهُوَ الْغُرَّةُ (٦) الْمَغْزَل . إن تَعِشْ
تَرَ مَا لَمْ تَرَ . قد أَقْرَّ صَامِت (٧) . الْمُكْثَارُ كحاطب (٨) ليل ،
من أكثر أسقط (٩) .

لا تجعلوا سرًّا إلى أمة . لا تُفَرِّقُوا في القبائل فإن الغريب
بكل مكان مظلوم . عاقدوا الثروة (١٠) ، وإياكم والوشائظ (١١) ،
فإن مع القِلَّةِ الذَّلَّةُ . لو سئلت العارية قالت : أَبْغِي لِأَهْلِي
ذلا . الرُّسُولُ مُبَلِّغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . من فسدت بطانته غُصٌّ

(١) الرزين .

(٢) الابطاء .

(٣) ادعوه :- اي اتخذوه سترا ووقاية .

(٤) يضطرب ويتحرك ، والمقصود أن من طبيعة الحياة الافتراق بعد

اللقاء ، وأن من هنا كل كثرة الى زوال .

(٥) اغرسوا مهابتكم وتوقيركم في قلوبهم .

(٦) المرأة الشريفة .

(٧) السكوت رضا واعتراف .

(٨) الحاطب :- جامع الحطب ، وحاطب الليل :- الرجل يخلط في

كلامه .

(٩) أخطأ .

(١٠) حالفوا كثرة العدد من الناس

(١١) جمع وشيظة :- أى لا قيمة لهم فهم حشوفي قومهم .

بالماء . أَسَاءَ سَمِعاً فَأَسَاءَ جَابَةً (١) .

الدال على الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة .
قد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها . لم يجر سالك القصد .
ولم يعمَّ قاصد الحق . مَنْ شَدَّدَ نَفْرَ وَمَنْ تَرَاخَى تَأَلَّفَ .
الشرف التغافل . أوفي القول أوجزه . أصوب الأمور ترك
الفضول . التغرير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان
الهلكة . لكل شيء ضراوة . أحوج الناس إلى الغني مَنْ
لا يَصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى ؛ وهم الملوك . حبُّ المدح رأس الضياع .
رضا الناس غاية لا تُبْلَغُ . لا تكره سخط من رِضاه
الجور .

معالجة العفاف مشقة فتعوذ بالصبر . اقصر لسانك على
الخير وأخر الغضب ، فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع .
أمر أعمال . المقتدرين الانتقام ، جاز بالحسنة ولا تكافي
بالسيئة . أغني الناس عن الحق من عظم عن المجازاة .
مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عَذْرُهُ ، مَنْ جَعَلَ لِحَسَنِ الظَّنِّ نَصِيباً
رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ . عِي الصمت أحمد من عِي المنطق . الناس
رجلان : مُحْتَرِسٌ وَمُحْتَرَسٌ منه ، كثير النصيح يهجم

(١) الاجابة .

على كثير الظنة . من ألح في المسألة أبرم (١) . خير
السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يُكسب المحبة ، وإن
يغلب الكذب شيئاً إلا غلب عليه الصدق . القلب قد
يُتهم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مكسبة
للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء . فكن من الناس
بين القرب والبعد ، فإن خير الأمور أوسطها .

فُسُولة (٢) الوزراء أضُرُّ من بغض الأعداء . خير القرباء
المرأة الصالحة ، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن
له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ ، وتمكَّن
منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤ حتى يَمَلَّ (٣)
الناس عتيد فعله ، ويشتدَّ على قومه ، ويُعجَبَ بما ظهر
من مروءته ، ويغترَّ بقوته ، والأمر يأتية من فوقه . ليس
للمختال في حسن الثناء نصيب . لانماء مع العدم ، إنه
من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العيُّ أن تتكلم فوق
ماتسد به حاجتك .

لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه

(١) أضجر وأمل .

(٢) فسل ككرم وعلم فسولة فهو فسل كضخم :- أى رذل لامروءة له .

(٣) في رواية أخرى (حتى يملك) .

حاجة . أقل الناس راحة الحقوق . من تَعَمَّد الذنب لا تحِلُّ
رحمته دون عقوبة ؛ فإنَّ الأدب رفِقُ والرفق يُدِنُ .

الوان الناس

ومازلت مذ لاح المشيبُ بمفرقي افتش عن هذا الورى ثم أكشف
فما أنت عرفت الناس إلا ذممتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرف
فما كل من تهوى يحبك قلبه ولا كل من تحب يكن لك منصف
وما الناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تألف

الباب الرابع
من وصايا الصحابة والتابعين

بين معاوية وعُمر بن العاص

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أراه خرج في مثلها ، فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبدر إليه من يسده ، ثم يفعل ذلك بميسرته ، فتغنيه اللحظة عن الإشارة . فدخله زهو مما رأى ، فقال :

يا بن العاص ، كيف تري هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت :—
والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحداً تأتي له من طاعة رعيته ما تأتي لك من هؤلاء

فقال : أفتدري متي يفسد هذا ؟ وفي كم ينتقبض جميعه ؟ قلت : لا ، قال : في يوم واحد . قال : فأكثرتُ التعجب . فقال : إي والله ، وفي بعض يوم .

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
قال : إذا كذبوا في الوعد والوعيد ، وأعطوا على الهوى لا على الغناء ، فسد جميع ماتري .

خطبة سعيد بن سويد

خطب سعيد بن سويد بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً منيعاً ، وباباً وثيقاً ، فحائط

الإسلام الحق ؛ وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعاً
ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا
غزباً بالسوط ، ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل .

في موقف الموت

دخل يزيد على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه فلم
يرد عليه ، فبكى يزيد ثم افاق معاوية وقال « أي بني ،
إن أعظم ما أخاف الله فيه ما كنت أصنع لك . يا بني
إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
إذا مضى لحاجه وتوضأ ، أصب الماء على يديه ، فنظر
إلى قميص لي قد انخزق من عاتقي ، فقال لي : يا معاوية
ألا أكسوك قميصاً ؟ قلت : بلى يا رسول الله فكساني قميصاً
لم ألبسه إلا كبسة واحدة ، وهو عندي ، وحلق ذات يوم
فأخذت من شعره وقلامه أظفاره فجعلت ذلك في قارورة
فإذا أنا مت يا بني فاغسلني ، ثم اجعل ذلك الشعر
والأظفار في عيني ومنخزي وفي ، ثم اجعل قميص
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعاراً من تحت كفني ،
فإن نفع شيء نفع هذا .

عهد أبي عبيدة لأهل دمشق

شمر خالد بن الوليد لفتح دمشق فدخلها من جهته (١) عنوة ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبدلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب فالتقى خالد والقواد في وسطها ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح بهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لا تحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قلاية (٢) ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ماخرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان في خطط (٣) المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لا نصرب على نواقيسنا إلا

(١) لما سار المسلمون الى دمشق نزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي ، عمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة ، باب الجابية ، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان .

(٢) من بيوت عبادة النصاري كالصومعة .

(٣) الاراضى التي يختطونها لأنفسهم .

ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ،
ولا نرفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا ، ولا
نخرج صليبنا ولا كتابنا ، ولا نخرج باعوثاً ولا شعانين (١)
ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولا نظهر النيران معهم في أسواق
المسلمين . ولا نجاورهم بالخنازير ، ولا نبيع الخمر ، ولا
نظهر شركاً في نادي المسلمين ، ولا نرغب مسلماً في
ديننا ، ولا ندعوا إليه أحداً ، وعلى أن لا نتخذ شيئاً من
الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ، ولا نمنع أحداً
من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الاسلام ، وأن نلزم
ديننا حيث كنا ، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا في مراكبهم ،
ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتسمي بأسمائهم ، وأن نجزّ مقام
رووسنا ، ونفرق نواصينا ونشد الزنانير (٢) على أوساطنا
وأن لا ننقش في خواتيمنا بالعربية ، ولا نركب السروج
ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نجعله في بيوتنا ، ولا نتقلد
السيوف ، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ، ونرشدهم

(١) الباعوث عند النصارى مثل الاستسقاء عندنا ، والشعانين عيد لهم
قبل عيدهم الكبير بأسبوع .
(٢) ما يشد على وسط النصارى والمجوس ، مفرده زنار كرمان .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : عجباً لمن
يَهْلِكُ ومعه النجاة ! قيل له : وما هي ؟ قال : التوبة
والاستغفار .

بين القوة والضعف

وقال الحسن رضي الله عنه :
من كان قويا فليعتمد على قوته في طاعة الله ، ومن
كان ضعيفاً فليكف عن معاصي الله .

في اجتناب السلطان

لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف ، فقال .
يَا الَّذِي يَمْنَعُكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَنَا ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا
عَنْكُمْ فَقَالَ : «وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» .
وقدم هشام بن عبد الملك المدينة لزيارة مسجد رسول الله
فدخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : مَا يَمْنَعُكَ أَبَا حَازِمٍ
أَنْ تَأْتِيَنَا ؟ فَقَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِأَيَّانِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنْ أَذْنَتْنِي فَتَنَّتْنِي ، وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي أَخْزَيْتَنِي ، وَلَيْسَ
عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ .
(لَكِنْ مَصَالِحُ النَّاسِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِتَعَاوُنِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ)

من مغرم مظلون

قال رجل للحسن رضي الله عنه : أبا سعيد ، أردت
أَنْ أَصْلِيَّ فَلَمْ أَسْتَطِعْ ، قَالَ : « قَيْدَتَكَ ذُنُوبُكَ » .

الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطلع عليهم في منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط مانجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لانشتم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده .

ضمناً ذلك على أنفسنا وذرائعنا وأرواحنا ومساكننا ، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك ، وقبلنا الأمان عليه ، فلا ذمة لنا ، وقد حل لك منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا ، فأقرونا في بلادكم التي ورثكم الله إياها .

شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفي بالله شهيداً .

صِفَةُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

كتب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - لما ولي الخلافة الى الحسن ابن أبي الحسن البصري ، أن يكتب اليه بصفة الامام العادل . فكتب اليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ؛ أن الله جعل الإمام العادل قِوَام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونَصَفَةَ كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف .
والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق بها . الذي يرتاد لها أطيب المراعي ؛ ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنّنها من أذى الحرّ والقرّ .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكسب لهم في حياته ، ويدّخر لهم بعد مماته .
والإمام العادل يا أمير المؤمنين ؛ كالأم الشفيقة البرّة الرّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعت كرهاً ، وربّته طفلاً تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتم بشكايته .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامي ، وخازن
المساكين ، يُرَبِّي صَغِيرَهُمْ ، وَيُمُونُ كَبِيرَهُمْ .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين . كالقلب بين الجوارح ،
تَصْلُحُ الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين ؛ هو القائم بين الله وبين
عباده ، يَسْمَعُ كلام الله وَيُسْمِعُهُمْ ، وينظر إلى الله ويريهم ،
وينقاد إلى الله وَيَقُودُهُمْ ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما
مَلَكَكَ الله عز وجل . كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله
وعياله ، فَبَدَّدَ المال ، وَشَرَّدَ الْعِيَالَ ، فَافْقَرَ أَهْلَهُ ، وفَرَّقَ
ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أَنَّ الله أَنزَلَ الحدودَ لِيُزَجَّرَ بِهَا
عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ ، فَكَيْفَ إِذَا أَتَاهَا مِنْ يَلِيهَا ! وَأَنَّ
اللهَ أَنزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا قَتَلَهُمْ مَنْ
يَقْتَصُّ لَهُمْ ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وَقِلَّةَ
أَشْيَاعِكَ عِنْدَهُ ، وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ ، فَتَزَوَّدْ لَهُ وَلِما بَعْدَهُ مِنْ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أَنَّ لَكَ مَنْزِلًا غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ .

فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يُسَلِّمُونَكَ فِي
قَعْرِهِ فَرِيدًا وَحِيدًا ، فَتَزُودُ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ : (يَوْمَ يَفِرُّ
الْأَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ) .

وَاذْكُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : (إِذَا بُعْثَ مَا فِي الْقُبُورِ .
وَحَصَلَ مَا فِي الصُّدُورِ) فَالْأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، فَالآنَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ .

لَا تَحْكَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ ،
وَلَا تَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ ، وَلَا تُسَلِّطِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى
الْمُسْتَضْعَفِينَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا لَأْذِمَةً ، فَتَبُوءَ
بِأَوْزَارِكَ ، وَأَوْزَارَ مَعَ أَوْزَارِكَ ، وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالًا مَعَ
أَثْقَالِكَ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ بِمَا فِيهِ بُوْسُكَ ،
وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِكَ .
وَلَا تَنْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ غَدًا
وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي
مَجْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ عَنَتِ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ .

إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بِعِظَتِي ما بَلَغَهُ أُولُو
النُّهْيِ من قَبْلِي ، فلم آلُكَ شَفَقَةً وَنُصْحاً . فَأَنْزَلَ كِتَابِي
إِلَيْكَ كَمُدَاوِي حَبِيبِهِ ؛ يَسْقِيهِ الْأَدْوِيَةَ الْكَرِيهَةَ لما يَرْجُو لَهُ
فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالصَّحَةِ .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

مَوْعِظَةُ طَاوُوسٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

عن أبي رباح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس
كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزد حرفاً ؛ قال :-
فما رأيت قط كتاباً كان أعجب إليه منه ، كتب إليه .

« سلام عليك يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل أنزل
كتاباً ، وأحل فيه حلالاً ، وحرم فيه حراماً ، وضرب فيه
أمثالاً ، وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً ، فأحل حلال
الله ، وحرم حرام الله ، وتفكر في أمثال الله ، واعمل
بحكمه ، وآمن بمتشابهه . والسلام عليك » .

عبرة

لما وقع الطاعون الجارفُ أطاف الناس بالحُسَيْن ،
فقال : ما أحسن ما صنع بكم ربكم ، أقلع مذنب
وأنفق ممسك . (أي تاب المذنب وسخى البخيل
ولكن مؤخراً عند نزول البلاء) .

مَوْعِظَةٌ سَالِمٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم ابن
عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَانِي بِمَا ابْتَلَانِي بِهِ مِنْ
أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنِّي فِيهَا ، وَلَا طَلِبَ مِنِّي
لَهَا إِلَّا قَدَرٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قَدَّرَهُ عَلَيَّ ، فَاسْأَلُ الَّذِي ابْتَلَانِي
أَنْ يَغْنِنِي عَلَى مَا وَلَّانِي مِنْ عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي
فِيهِمُ الْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَرْزُقَهُمْ مِنِّي الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ ،
وَيَرْزُقَنِي مِنْهُمْ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَحَسَنَ الْمَوَازَرَةِ ، فَإِذَا جَاءَكَ
كِتَابِي هَذَا ؛ فَابْعَثْ إِلَيَّ بِكِتَابِ عَمْرِو سِيرَتِهِ وَقَضَائِهِ فِي أَهْلِ
الْقُبْلَةِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ . فَإِنِّي سَائِرُ بِسِيرَتِهِ ، وَمُتَّبِعُ أَثَرِهِ إِنْ
اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَالسَّلَامُ » .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ سَالِمٌ :

« مِنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .
سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ . . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا لِمَا أَرَادَ . فَجَعَلَ
لَهَا مَادَّةً قَصِيرَةً ثُمَّ قَضَى عَلَيْهَا ، عَلَى أَهْلِهَا بِالْفَنَاءِ ، ثُمَّ إِنَّكَ

يا عمر قد وُلِّيتَ أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتي وُلِدَ في ذلك رجال ونساء ، وظنُّوا أنَّها السُّنَّةُ ، فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله ، فإنك إن كنت تعمل لله أتاح الله لك أعواناً ، وإنَّما قُدِّرَ العَوْنُ بِقَدَرِ النِّيةِ ، وإن استطعت أن تجيَّ يوم القيامة لا يتبعنك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابطون لك ؛ فافعل فإنهم قد عالَجوا نزع المهت . وعاینوا أهوال المَطَّلَع . وانفقات أعينهم التي كانت ، لا تنقضي لذتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسِّدين بعد تظاهر الفرش والمرافق والسُّرُر والخدم ، وصاروا جِيفاً في بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مساكين تَأَذَّوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم ما ابتليت به يا عمر ، فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال

وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال يا عمر ... الدم
الدم يا عمر .

كتبتَ إلي أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن
عمر عمل في غير زمانك وبغير رجالك ، ووليت في زمن
تعلم بعد ما عمل ، وأنا أرجو إن عملت على النحو الذي
عمل به عمر بعد ما بلوت من الظلم أن تكون أفضل من
عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح : « وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت . وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه
أُنيب » . (١)

آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز

عن أبي سليم الهللي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :
« أما بعد ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم
يدع شيئاً من أمركم سدي ، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله - عز
وجل - فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فتخاب وخسر من
خرج من رحمة الله ، وحرّم الجنة التي عرضها السموات
والأرض ، واشتري قليلاً بكثير ، وفائتاً بباق ، وخوفاً

(١) سورة هود الآية ٨٨

بأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك ، حتي تُردَّ إلى خير الوارثين .

في كل يوم وليلة تشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله - عز وجل - قد قضي نحبه ، وانقضي أجله حتي تُغيبُوه في صدع الأرض في بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موصد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرْتَهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدَّم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم .

وأيُّم الله إني لأقول لكم هذه المقالة . وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي ، وما تبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه . وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتي يستوي عيشنا وعيشه .

وأيُّم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش . لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه . ولكن سبق من الله - عز وجل - كتاب ناطق . وسُنَّة عادلة . دَلَّ فيها على طاعته . ونهي فيها عن معصيته " .

ثم وضع طرف ردهائه على وجهه فبكى وبكى الناس ، وكانت آخر خطبة خطبها .

الباب الخامس

من وصايا القواد والفقهاء والأدباء

خطبة عمر بن عبد العزيز في اختيار القاصي

عن سلام بن سليم قال :
لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر - وكان أول خطبة خطبها -
حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«يأيها الناس . . من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا
فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا
على الخير بجهد ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي
إليه ، ولا يفتابن عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه»
فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا :-
ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

قولهم في التوبة

مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بني اسرائيل
يكون ، فقال لهم : ما يبكيكم ؟ قالوا : نبكي لذنوبنا
قال : اتركوها تغفر لكم . (يصح صدق قول الله تعالى
« ان مجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع امره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، وقال :

ما ابقى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا ، والتدبير والراي ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة الا وقد حكمه ، وأوصى به ، وتقدم فيه . وامر أن يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الاعمال .

ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، آثرنا ذكره على ما فيه من طول ، رغبة منا في الا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم

يا بني « عليك بتقوي الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته . ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيته ، والزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه . وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله . وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم . ومؤاخذك بما فرض عليك من

ذلك . وموقفك عليه ، ومسائلك عنه . ومُثِيبك عليه بما
قدمت وأخرت ، ففرَّغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك
ورويَّتكَ . ولا يذهلك عنه ذهل . ولا يشغلك عنه شغل .
فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله
به لرشدك.

اداء الفرائض

وليكن أول ماتلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك .
المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ،
والجماعة عليها بالناس قبلك ، في مواقيتها على سننها في
إسباغ الوضوء لها . وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في
قراعتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ،
ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من
معك وتحت يدك . وادأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر
بالمعروف وتنهي عن المنكر . ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمثابرة على خلائقه ،
واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده . وإذا ورد عليك
أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل
الله في كتابه . من أمره ونهيه . وحلاله وحرامه ، وائتمام
ما جاءت به الآثار عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم قم

فيه بما يحق لله عليك ، ولا يمل عن العدل فيما أحببت
أو أكرهت ، لقريب من الناس أو بعيد .

اينثارالفقه وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله
والعاملين به ، فإن أفضل ماتزين به المرء الفقه في دين
الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى
الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والأمر
به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق
الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودركاً
للمراتب العلى في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوفيق
لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدلك .

الاقتصاد وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين
نفعاً ، ولا أحضر أمناً ، ولا أجمع فضلاً من القصد ، والقصد
داعية إلى الرشd ، والرشd دليل على التوفيق ، والتوفيق
منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ،
فآثره في دنياك كلها ، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر
والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومعالـ الرشd ، فلا
غاية للاستكبار من البر والسعي له ، إذا كان يطلب به وجه

الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وأنتك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأتته واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحداً ^{حسن الظن} بالله وبالرعية من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تكشف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبرءاء والظنون السيئة بهم مآثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً ، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغص عليك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفي به ما أحسبت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى

محبتك ، والاستقامة في الأمور كلها لك . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك ، والرفقة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأُمور الأولياء والحيطة للرعية ، والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأُمور الأولياء ، والحيطة للرعية والنظر في حوائجهم . وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوي ذلك ، فإنه أقوم للدين ، وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومُجزي بما أحسن ، فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين ، وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على اجتناب الشبهات

أمرك في ذلك بالسنن المعروفة .

وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهداً فف به ، وإذا وعدت الخير

فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض اهله ، واقص اهل النميمة ، فان اول فساد امرك في عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتهما ، لان النميمة لايسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ، ولايستقيم لطيعها أمر ، واحب اهل الصدق والصلاح ، واعن الاشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتنع بذلك وجه الله ، وعزة امره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الاهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واطهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى .

الحكم

واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له .

اخلاص

النية

واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك

لله ، يعطيه من يشاء ، وينتزعه ممن يشاء ، ولن تجد
تغير النعمة ، وحلول النعمة ، إلى أحد أسرع منه إلى حملة
النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ،
إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله
من فضله . ودع عنك شره نفسك ، ولتلك ذخائر
وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوي ، والمعدلة
واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموارهم ،
والحفظ لدمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

استخدام
الاموال واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن
لا تثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ،
وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصلحت به العامة
وتزينت به الولاية ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز
والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة
الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك
حقوقهم ، وأوف رعيته من ذلك حصصهم .

وتعهد بما يصلح أمورهم ومعاشهم ، فإنك إذا فعلت
ذلك قفزت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنبت
بذلك على جباية خراجك ، وجمع أموال رعيته وعملك

أقدر، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك
أسلس لطاعتك، وأطيب نفساً بكل ما أردت، فاجهد
نفسك فيما حددت لك في هذا الباب، ولتعظم حسبتك
فيه، فإنما يبقي من المال ما أنفق في سبيل حقه، واعرف
للشاكرين شكرهم، وأثبهم عليه، وإياك أن تنسيك الدنيا
وغرورها هول الآخرة، ففتتهاون بما يحق عليك، فإن
التهاون يوجب التفريط، والتفريط يورث البوار، وليكن
عملك لله، وفيه تبارك وتعالى.

وجاء
الثواب

وارج الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا، والشكر
وأظهر لديك فضله، فاعتصم بالشكر، وعليه فاعتمد، يزدك
الله خيراً وإحساناً، فإن الله يشيب بقدر شكر الشاكرين
وسيرة المحسنين، وقضاء الحق فيما حمل من النعم، والبس
من العافية والكرامة، ولا تحتقرن ذنباً، ولا تماثلن
حاسداً، ولا ترحمن فاجراً، ولا تصلن كفوراً، ولا تداهنن
عدواً، ولا تصدقن نمّاماً، ولا تأمنن غداراً، ولا توالين
فاسقاً، ولا تتبعن غاويّاً، ولا تحمدن مرأثياً، ولا تحقرن
إنساناً، ولا تردن سائلاً فقيراً، ولا تجيبن باطلاً، ولا
تلاحظن مضحكاً، ولا تخلفن وعداً، ولا تذهبن فخراً،

ولا تظهرن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ، ولا تمشين مرحاً ، ولا
تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع
الأيام عياناً ، ولا تغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ،
ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء
واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي
العقل والرأي والحكمة ، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة
والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من
منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر
رعيته من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت
كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم
لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيته إنما تعتقد على محبتك
بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء
أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ،
فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ماعصي به الإنسان ربه ،
وان العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل :
(وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

رعاية الأمة فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ ، واجعل للمسلمين كلهم
من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال

العباد ، فأعدد لنفسك خلقاً ، وارض به عملاً ومذهباً ،
وتفقد أمور الجند في دواوينهم ، ومكاتبتهم ، وادرر
عليهم أرزاقهم . ووسع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك
الله فاقبتهم . ويقوم لك أمرهم . ويزيد به قلوبهم في
طاعتك وأمرك . خلوصاً وانشراحاً . وحسب ذي سلطان من
السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته
وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبرده وتوسعته ، فزایل مكروه
إحدي البليتین ، باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم
العمل به ، تلق — إن شاء الله — نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله ، بالمكان الذي ليس مثله شيء
من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الأحوال في
الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ،
وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ،
وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية
والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى
مجاريتها ينتجز الحق والعدل في القضاء .

الشدة

واشد في أمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة
الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع
في الله

بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ،
وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ،
وقف عند الشبهة ، وابلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد
من رعينتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وثبت
وتأن ، وراقب وانظر ، وتدبر وتفكر ، واعتبر وتواضع
لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ،
ولا تسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم
انتهاكاً لها بغير حقها .

المالية
العامة

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ، وجعله
الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم
كبتاً وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً .
فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم
فيه ، ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غني
لغنائه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، فلا
تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمراً فيه
شطط ، واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أجمع
لألفتهم ، وألزم لرضي العامة ، واعلم أنك جعلت بولايتك
خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما سمي أهل عملك رعينتك .

لأنك راعيهم وقيّمهم ، تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم
ومقدرتهم ، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم
أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ، ذوي الرأي
والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة
والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ، فإن ذلك من الحقوق
اللازمة لك فيما تقلدت وأُسند إليك ، ولا يشغلنك عنه
شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف ، فإنك متي آثرته
وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك ،
وحسن الأحداث في عملك ، واستجرت به المحبة من
رعيّتك ، وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك ،
وفشت العمارة بناحيّتك ، وظهر الخصب في كورك ،
وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على
ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من
نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك
عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة
وعُدّة .

فنافس في هذا ، ولا تقدّم عليه شيئاً ، تحمد مغبة
أمرك - إن شاء الله - واجعل في كل كورة من عملك أميناً ،

يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم .
حتي كأنك مع كل عامل في عمله ، معاين لأمره كله ، وإن
أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في عواقب ما أردت من
ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه
حسن الدفاع ، والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف
عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه
ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوي ،
فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه
ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره
بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع
أمورك .

سرعة الانجاز وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر
مباشرة بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن
عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب
بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليه أمر يومين ، فشغلك
ذلك حتي تعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت
نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار
الناس وذوي الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم

وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على
أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات
من قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح
إليهم ، حتي لا يجدوا لخلَّتهم مساً .

وافرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن الفقراء
لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذي لا علم له
بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفي مسألة ، ووكل بأمثاله
أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم
إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوي
البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت
المال اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم
والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به
بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من بيت المال ، وقدم حملة
القرآن منهم ، والحافظين لأكثره في الجارية على غيرهم ،
وانصب لمرضي المسلمين دوراً تؤويهم ، وقوَّاماً يرفقون
بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم
مالم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال .
واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم ، وأفضل أمانيتهم

لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأُمور الناس ، لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، ويعرف محاسن أُموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربُه إلى الله ، ويلتمس رحمته به .

العلة
المباشرة
بالناس
وأكثر الاذن للناس عليك ، وابرز لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولا منان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة - إن شاء الله - واعتبر بما تري من أُمور الدنيا وبمن مضي من قبلك ، من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة .

الاعتصام
بالشرعة
ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله ، واعرف ماتجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع

حراماً ، ولا تنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ، ومشاورتهم
ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار
مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك
عليك مَنْ إذا رأى عيباً فيك ؛ لم تمنعه هيبتك من إنهاء
ذلك إليك في سرّ ، وإعلامك مافيك من النقص ، فإن
أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقّت لكل ^{حسن الإدارة}
رجل منهم في كل يوم وقتاً ، يدخل عليك فيه بكتبه
ومؤامراته ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك
ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك
وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير
له ، فما كان موافقاً للحزم والحق ، فامضه واستخر الله
فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه
والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم
بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء
والاستقامة ، والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن
المعروف إلا على ذلك .

وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل

به . واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فإن الله
مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك
ما كان لله رضا ، ولدينه ، نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة
والدولة عدلاً وصلاحاً .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك
وكلامك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله
عليك ، وكرامته لك ، حتي يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ،
وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك ،
ومن ناوأك وبغي عليك ، ويرزقك من رعتك العافية ،
ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتي يستعلي أمرك بالعز
والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

رسالة الإمام مالك إلى هرون الرشيد

كتب الامام مالك بن أنس - رضي الله عنه - بهذه الرسالة الى أمير
منين هرون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
رسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد ، فإنني كتبتُ إِلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ أَلُكَ فِيهِ
شَدًّا ، وَلَمْ أَذْخِرْ فِيهِ نُصْحًا ، تَحْمِيدًا لِلَّهِ ، وَأَدَبًا عَنْ
سُورِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَدَبَّرْهُ بِعَقْلِكَ ، وَرَدِّدْ فِيهِ
صِرْكَ ، وَارْعَهُ سَمْعَكَ ، ثُمَّ اعْقِلْهُ بِقَلْبِكَ ، وَاحْضِرْهُ فَهْمَكَ ،
لَا تُغَيِّبَنَّ عَنْهُ ذَهْنَكَ ، فَإِنْ فِيهِ الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا ، وَحَسَنُ
وَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ، اذْكُرْ نَفْسَكَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَكُرْبِهِ ، وَمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ مِنْهُ ، وَمَا أَنْتَ مُوقِفٌ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ
مِنَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ الْحِسَابِ ، ثُمَّ الْخُلُودِ بَعْدَ
الْحِسَابِ ، وَأَعِدَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مَا يُسَهِّلُ بِهِ عَلَيْكَ أَهْوَالَ
تِلْكَ الْمَشَاهِدِ وَكُرْبَهَا ، فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَهْلَ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ ، وَشِدَّةِ نَقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ،
وَسَمِعْتَ زَفِيرَهُمْ فِي النَّارِ وَشَهيقَهُمْ ، مَعَ كُلُوحِ وَجُوهِهِمْ ،

(١) (للعلماء رأي في نسبة هذا الى مالك) رضي الله عنه (ولكنها موعظة مفيدة .

وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل والثبور ، وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : « اٰخَسُّوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ » .

لم يتعاضلك شيء من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمّنك من هوله ، ولو قدمت في طلب النجاة منه جميع ممالك أهل الدنيا - كان في معاينتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قريبهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه - لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تبخير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار ، وصل من النهار

اثنيتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت صلّهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانِ رُكْعَاتٍ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَاَعْطِ كُلَّ رُكْعَةٍ حَقَّهَا ، وَالَّذِي يَنْبَغِي فِيهَا مِنْ تَمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَصَلِّهِنَّ مِثْنِي مِثْنِي ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ يَصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانِ رُكْعَاتٍ ، وَالْوُتْرَ ثَلَاثَ رُكْعَاتٍ سِوَى ذَلِكَ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ ، وَصُمُّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ : الثَّالِثَ عَشَرَ ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

وَاعْطِ زَكَاةَ مَالِكَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ حِينَ يَحُولُ عَلَيْهِ ^{الصدقة} مِنْ يَسْتَحِقُّ الْحَوْلَ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا بَعْدَ حُلِّهَا ، وَضَعُهَا فَيَمْنُ أَمَرَ اللَّهُ ^{واقسامهم} تَعَالَى ، وَلَا تَضَعُهَا إِلَّا فِي أَهْلِ مِلَّتِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍِّّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حُدَّهَا هُوَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي
الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)

واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ،
فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً ، وبلغني أن قوله تعالى :
(فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)
غُفِرَ لَهُ .

مر بطاعة الله وأحجب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ،
وابغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه
وسلم أنه قال : «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا
هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ
يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ» . فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجْلاً ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقاً .

أَحْسِنِ إِلَى مَنْ خَوَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاشْكُرْ تَفْضِيلَهُ إِيَّاكَ
عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ كَانَ
يُصَلِّي فَيَنْصَرِفُ ، وَقَالَ : «أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ
تَنْطَ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ

رحمة الخدم
والنهي عن
الكبر

سَاجِدٌ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ .

الزِّمِ الْأَدَبَ مِنْ وَلِيَّتِ أَمْرِهِ وَأَدَبِهِ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخْفِهُمْ فِي اللَّهِ » .

لا تستسلم إلى الناس واستجرهم (١) في طاعة الله ، لا تغمص الناس ، واخفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحِ ابْنِهِ . قَالَ : آمُرُكَ بِاثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ ، آمُرُكَ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ وَزَنْتَهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى حَلِيقَةٍ قَصَمَتْهَا ، وَقُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تُقْطَعُ أَرْزَاقُهُمْ ، فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْهَاكَ الْكِبَرَ وَالتَّعَاضُمَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكِبرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَمِنَ الْكِبَرُ أَنْ يَكُونَ لِي الدَّابَّةُ النَّجِيبَةُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَمِنَ الْكِبَرُ أَنْ يَكُونَ لِي الثَّوبُ

(١) استجرهم : أى استخدمهم واستعملهم .

الحسن ، قال :- لا ، قال :- أفمن الكبر أن يكون لي
الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال :- لا . إنما الكبر أن تسفه
الحق ، وتغمص الخلق ، وإيالك والكبر والزهو ، فإن الله - عز
وجل - لا يحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال :-
« يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ
بِتَكَبُّرِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

خوف الله
لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه
بلغني عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : شاور
في أمرك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء ، وأهل
الردى على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ :
بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ
خَبَالًا ، وَهُوَ مَعَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ
السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ » .

واستبطن أهل التقوي من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه
يحق عليك إكرامه ، وارع حق جارك ببذل المعروف ، وكف
الأذي عنه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه

قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ،
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيْمْسِكْ » .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه
قال : أُنذِرْكُمْ فضول المنطق . وأَكْرَمُ من وَاذَكْ ، وكافته
بمودته ، وإِيَّاكَ وَالْغَضَبُ في غير الله ، لا تأمر بخير
إِلَّا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوءٍ إِلَّا بدأت بتركه ، دع
من الأمر ما لا يعينيك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْينُهُ » .
صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، واعف عمن ظلمك ، واعط من
حرملك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

اتَّقِ كثرة الضحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ضحكك كان تبسماً .

لا تمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - أنه قال : « إِنِّي لَا مَزَاحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .
المزاح والكبر ومجالسة
المتقين

لا تخالف إلى ما نهيت عنه ، وإذا نطقت فأوجز ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « وهل يكب الناس في نار جهنم إلا هذا » . يعني لسانه .

لا تصاعر خدك للناس ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن أهل الجنة كل حين لين سهل طلق » .

اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية . اتق كل شيء تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم » .

أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة ، وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لرجل : « لا تسأل الناس ، وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك » وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « المساجد بيوت المتقين » .

لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لا بد منه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ستة

مَجَالِسِ الْمُسْلِمِ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ : فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ فِي بَيْتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ أَوْ جُمُعَةٍ ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ يَعِزُّهُ وَيُوقِّرُهُ .

أَحْسَنَ خَلْقِكَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَمَنْ اعْتَزَلَ بِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّكَ ، وَمَحَبَّةٌ فِي أَهْلِكَ ، وَمَثْرَاءٌ فِي مَالِكَ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي أَجْلِكَ .

فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ .

أَحْسَنَ الْبِشْرِ إِلَى عَامَةِ النَّاسِ ، وَاتَّقِ شَتْمَهُمْ وَغِيْبَتَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ) . وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَشْتُمِ النَّاسَ » .

اتَّقِ أَهْلَ الْفَحْشَى ، وَمَجَالِسَةَ أَهْلِ الرَّدْيِ ، وَمَحَادَثَةَ الضَّعْفَةِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : اعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ فَإِنَّمَا يَعَادِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِثْلَهُ .

أَكْرَمَ الْيَتِيمِ ، وَارْحَمَهُ ، وَاعْظِفْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ

النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ
أَوْ لغيرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». وأشار بأصبعيه
فضمهما .

اعرف لابن السبيل حقه . واحفظ وصية الله تعالى
فيه . فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل
عليه السلام .

أعِنِ المظلوم . وانصره ما استطعت . وخذ على يد
الظالم . وادفعه عن ظلمه . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - أنه قال: «مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ
حَقُّهُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ» .

اتقِ اتباع الهوي في ترك الحق . فإنه بلغني عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ :
اتِّبَاعَ الْهَوَى ، وَطُولَ الْأَمَلِ» . فإن اتباع الهوي يصدُّ عن
الحق . وطول الأمل ينسي الآخرة .

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم . فإنه
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أَشْرَفُ
الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَمُوَاَسَاةُ الْآخِ مِنْ

أَمَال ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي
- كرم الله وجهه - أنه قال : لا تُتْبِعِ النظرة النظرة ، فإنما لك
النظرة الاولى ، وليست لك الأخرى .

اتَّقِ المَطْعَمَ الوَبِيَّ ، والمَشْرَبَ الوَبِيَّ ، والملبَسَ الوَبِيَّ ،
فإن ذلك تذهب أنفته (١) ، وتبقي عاقبته ، وإن الله سبحانه
أدب رسله ، فقال : (كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً) .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ
أَكَلَهُ ، أَطْعَمَهُ اللهُ مَكَانَهَا أَكَلَهُ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ سَمَعَ بِأَخِيهِ
الْمُسْلِمِ ، سَمَعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَيْسَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ
ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ اللهُ مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ
إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذُرْهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ صَاحِبِ
مَكْسٍ » .

لِتَكُنْ يَدُكَ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَطْتَ ، فإنه بلغني عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ

(١) أنف الشيء وأنفته : ابتدأه وأوله .

اليد السفلى

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ،
فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ماتحَابَّ
رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانََ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .
صِلِ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ ، وَلَا تَكَافُتْهُ بِمِثْلِ مَا أَتَى
إِلَيْكَ ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا
قال له : « إِنَّ لِي أَقْرَبَاءَ ، أَعْفُوا وَيَظْلِمُونِي ، وَأَصِلْ وَيَقْطَعُونِي ،
وَأُحْسِنُ وَيُسَيِّئُونِي ، أَفَاكَافِيهِمْ ؟ » فقال صلى الله عليه
وسلم : « إِذَنْ تُتْرَكُوا جَمِيعًا ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأُحْسِنْ ،
فإنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ » .

ارحم المسكين المضطر ، والغريب المحتاج ، وأَعِنُّهُ عَلَى
مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَمْرِهِ ، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال :
« كل معروف صدقة » .

ارحم السائل ، وارده من بابك بفضل معروفك ، بالبذل
منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذْمَمَةُ السَّائِلِ بِمِثْلِ
رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ،

فعل

المعروف

فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لا تَزْهَدْ في المعروف ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي » .

أرد بكُل ما يكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن قوله عز وجل : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ) ... الآية . قال : المنافق الذي إن صلى رأي ، وإن فاتته لم يبلغ إليها (ويمنعون الماعون) قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عز وجل .

إياك والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرابي إلى الله عز وجل ، ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ماعملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « نَصَرَ الله امرءاً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها حَتَّى يَبْلُغَهَا غَيْرُهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظَ مِنْ شَاهِدٍ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرُ فِقْهِهِ » .

لا يغفل قلب امرئٍ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد

بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ مَلَكًا أَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَقْرِيكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : إِنَّ شَيْئًا أَجْعَلُكَ مَلَكًا نَبِيًّا أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا . فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ تَوَاضَعُ ، فَمَا أَكَلَ مُتَكِنًا حَتَّى مَاتَ » .

الظلم
لا تظلم الناس فيديهم الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحداً أشد عليّ ظلماً من أحد لا يستعين عليّ إلا بالله تعالى .

احذر البغي فإنه عاجل العقوبة . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صَلََةُ الرَّحْمِ ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةٌ الْيَمِينِ الْغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيارَ بِلَاقِعٍ » .

الحلف بغير الله
لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، لِيَحْلِفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ أَوْ لَيْسَ كُتْ » . ولا تحلف بالله في كل شيء

فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّإِيمَانِكُمْ) .

ارحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ » .
أحب طاعة الله يُحبك الله ، ويُحبُّكَ إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي السُّجُودِ » . وقال بعض العلماء : ما أَسْرَّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أَسْرَّ سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها .
وليكن عليك السكينة والوقار في منطلقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال - والناس يزحفون حوله - : « عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ » .
أعط دابتك إذا ركبته حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِذَا رَكَبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجَمَ فاعطوها حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ، ولا تكافئه فإن في ذلك الفضل

في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّائِغَ الْهَيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ » .

ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أَيُّهَا السُّلَمِيُّ اتَّقِ الْعُقُوقَ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ شَيْئاً فِي الدُّنْيَا وَتَبَاعُداً فِي الْآخِرَةِ » .

وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « اشْتَكَّتِ الرَّحِمُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ يَتَّقَاهَا ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهَا أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلْتُ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعْتُ » .

كظم إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذا ذكر ثواب الله على كظم الـ ^{كظم} ^{الغيط} الـ ^{الغيط} ، قال عز وجل : « وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » الآية

وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَا امْتَلَأَ رَجُلٌ غَيْظاً فَكَظَمَهُ اللَّهُ إِلَّا مَلَأَهُ اللَّهُ رِضْوَاناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

إذا وعدت موعداً في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولاً فيه رضا الله فاوف به ودم عليه ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِسِتٍّ أَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ : إِذَا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإِذَا

ندو
المعصية

اتَّيْمَنَ لَمْ يَخُنْ ، وَغَضَّ بِصَرِّهِ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ .
إذا حلفت على يمينٍ لست من طاعة الله فلا تهمن بها
وكفرها ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :-
« لا تَدْرَ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَكُفَّارَتِهَا كُفَّارَةُ يَمِينٍ وَالنَّذْرُ يَمِينٌ .
وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَاتِّ
الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكُفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ » . فإنه بلغني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك .

إياك والتزيد في القول ، وأن تقول قولاً وأنت تعلم أنه
لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . الْإِمَامُ
الْكَذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَرْهُو ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي » .

بر والديك وخصصهما منك بالدعاء في كل صلاة ، وأكثر
لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم - عليه
السلام - قال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » . فبدأ بنفسه
قبل والديه . وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عُمَرِهِ ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ ،
فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن

قدرت عليه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك في الركاب ، فقل : بسم الله ، وإذا استويت راكباً فقل : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » الآية . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك كلما ركب آداب الأكل دابة .

إذا أكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخبيث ، وبين أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعلك آخر فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لرجل يفعله : « اذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَلَا تَأْكُلْ بِشِمَالِكَ ، وَلَا تَشْرَبْ بِشِمَالِكَ .

وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّهَا إِكْلَةٌ الشَّيْطَانِ » .

لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لا يسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

احتس من يقرب إليك بالنميمة ، ويبليج الكلام عن الناس ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ^{الحد من} « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أَبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيْرَ تَخُومِ الْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وهو النمام .

لا تجرّ ثيابك فإن الله لا يحب ذلك ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

أطع الله في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

« لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء - يعني الجوع -
فقل : الله ربي لا أشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغني عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يأمر بذلك من أصابه
شيء من ذلك .

الصبر على
المصائب

اصبر على ما أصابك من فجائع الدنيا وأحزانها لقول
الله تعالى : (إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .
والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لا تُمارِئَنَّ أحداً وإن كُنتَ مُحَقَّقاً ، بلغني أن قول الله
عز وجل : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)
أنه المرء .

إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ،
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِذَا هَمَمْتَ
بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ رُشْداً
فَأْمُضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غِيًّا فَانْتِهِ عَنْهُ »

الحياة

إيّاك والتجريد خالياً ، فإنه ينبغي لك أن تستحيى من
الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

أنه قال : « لا أَحِبُّ أَنْ يَلِيَ لِي شَيْئاً مَنْ لَا يَسْتَحِييَ مِنْ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ » . وإيّاك أَنْ تدخل الحمام والماء إلا بإِزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإِزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَا يَحِلُّ لِمُرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ إِلَّا بِإِزَارٍ » .

أفشي السلام ، وإن استطعت أَنْ لا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلاً عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات .

ناديب
الأولاد

أدب ولدك ، ومن وليت أمره على خُلُقك وأدبك ، حتي يتأدّبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : كل مؤدّب يحب أَنْ يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكّت ، واجتهد رأيك فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أَلْمُسْتَشَارُ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ وَإِنْ

شَاءَ سَكَتَ .

لا تفش على أحد سراً أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة
استودعكها ، واثمنك عليها إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له
في دنياه وآخرته ، فافشها عليه وانصحه فيها ، بلغني
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مِنْ حَقِّ
الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فليُرَ عليك أثره ، وليُرَ
فيك سِمته ، وتعلّم للذي تعمله ، وتعلم له السكينة والحلم
والوقار ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » .

ردّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو
كرد السلام قال عز وجل : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) . وقال ابن عباس - رضي الله عنه -
أَرَى رَجْعَ الْكِتَابِ عَلَى حَقٍّ كما أَرَى رَجْعَ السَّلَامِ
ألزم الحياة فإنه خُلِقَ الإسلام ، وفيه قال صلى الله عليه
وسلم : « لِكُلِّ شَيْءٍ خُلُقٌ ، وَخُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءُ » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ

السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُتَقَلِّبِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهَا : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» .

دعاء السفر إذا ودَّعْتَ مُسَافِرًا فَقُلْ : « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » . لِأَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِهَا .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تقعد . لقول النبي - عليه الصلاة والسلام - « لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ مَخَافَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ » .

آداب

الزم السواك فإنه سنة ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عامة

وسلم - أنه قال : « السَّوَالُكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » .

افش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء ، وليكن ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، بلغني عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَيَجْعَلُهَا فِي كِفَّةٍ ، فَيُرَبِّبُهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ قُلُوهَ أَوْ فَصِيلَهُ ، حَتَّى تَكُونَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ » .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفزعك فيها إلى الله - عز وجل - حين تنزل بك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَنْ يَنْزَلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ كَانَ مَفْزَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ » .

لا تضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك ، لما بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّهَا لَضِجَعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ » .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَحَقُّ مَا وَفِّي بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام

عنده إلا بما يرضي الله، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -:
« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ
مَا بَلَغَتْ يُكْتَبُ لَهُ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ
مَا بَلَغَتْ ، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أَرِدُ مَا أَرَدْتُ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُ ، بلغني عن النبي - صلى
الله عليه وسلم - أنه قال : « صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » .
اتَّقِ كَثْرَةَ التَّزَكِّيَةِ لِنَفْسِكَ ، أو ترضي بها من أحد
يقولها لك في وجهك ، بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند
النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « وَيَحَكَ قَطَعْتَ
عُنُقَهُ ، وَلَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا » .

إِيَّاكَ وَمَدَحَ النَّاسِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ ، لقول
النبي - عليه الصلاة والسلام - : « احْشُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ
الْمَدَاحِينَ » .

طَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَقِّهَا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، فإنه بلغني
أن قوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) ، يأمره أن لا يلبسها على
عذرة .

واكره لكل أحد ما تكرهه لنفسك . بلغني عن

النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه بايع جريراً البجلي على الإسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

إياك والحسد والشره فهما خلقتان مُرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهما : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا وسلطه على إنفاقه في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

اقتد في أمورك برأي ذوي الإنصاف من أهل التقوي ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « خياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم » .

لا تحتكر أحداً ، ولا تجالس مأفوناً ، فإن الوحدة خير من جليس سوء .

عليك بمعالي الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سفسف منها ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها » .

إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك ، فأكثر

حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغني عنه عليه - الصلاة والسلام - أنه قال : « ما أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ » .

لا تتركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المُعَصْفَر ، فقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لَا تَتَطَيَّرَنَّ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ ، وَإِذَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السُّوءَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . فقد علمت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء .

لا تتخلقن بالخلق إلا أن يكون في أثر النورة ليذهب ريحها ، فقد بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي بُرْدَتَيْنِ لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخَّرُ فِيهِمَا ، إِذْ سَاحَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

لا تغيرن أظفارك بالحناء ولا يديك إذا دخلت الحمام ،
فإنه ليس من سيماء أهل الفضل .

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعَتَاق ، فإنها من أَيْمَانِ
الْفُسَاقِ . بلغني عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : أَرْبَعُ
جَائِزَةٍ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِنَ : الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالنَّذْرُ .
وَأَرْبَعَةٌ يُمَسُّونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ سَاخِطٌ ، وَيَصْبِحُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ
غَضَبَانِ : الْمُتَشَبِّهُونَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ
النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَيْمَةٍ ، أَوْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ .

لا تتطيبن بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي
- صلى الله عليه وسلم - قال : « طِيبُ الرِّجَالِ مَا بَطَنَ لَوْنُهُ
وظَهَرَ رِيحُهُ ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَبَطَنَ رِيحُهُ » .

الزم الرأي الحسن ، والهدى الحسن ، والاقتصاد ، بلغني
عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال : الرأي الحسن
جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لاتدع العمامة والبرد في العيدين
والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي - عليه الصلاة والسلام -
أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَزُّ الْإِسْلَامِ بِالْعَمَائِمِ وَالْأُلُويَّةِ » .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراق^(١) فلا يل ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلي ذلك من نفسه .

لابأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلي ، لقول ابن عباس - وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل في الحمام - إن الماء لا يجنب ، وإذا تنخمت في المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال :- هي خطيئة ، وكفارتها دفنها .

إذا نمت فقل عند منامك : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَائِمُ الدَّائِمُ ^{دعاء} لَا تَزُولُ ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَشْرِيكَ لَكَ ، عَلِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ ، اغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : أَلَا قُلْتُمْ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو الذي قال ماتقَدَّم .

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي - صلى

(١) المرق :- مارق من الطرز ، لأن .

الله عليه وسلم - « أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ،
وَلَا يَسْتَنْجُوا بِأَيِّمَانِهِمْ ، وَلَا يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ وَلَا رَوْثٍ » .
إذا انصرفت من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ الشَّرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللَّهُمَّ آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

بلغني عن ابن مسعود أَنَّهُ قَالَ : مَا دَعَا نَبِيٌّ مُرْسِلٌ
وَلَا عَبْدٌ صَالِحٌ بِشَيْءٍ حَسَنٍ إِلَّا هُوَ فِيهِ ، يَعْنِي فِي هَذَا الدَّعَاءِ .

لَا تَشْتَمُ عَبْدًا لَكَ ، وَلَا أُمَّةً بِزَنِي ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَذَفَ أُمَّةً أَوْ
حُرَّةً أَوْ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً فَلَمْ يُضْرَبْ فِي الدُّنْيَا ضَرْبٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » .

من أدب
السفر
واللقاء

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح - إن شئت - على
خُفِّكَ إِنْ كُنْتَ مُسَافِرًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ ، وَإِنْ كُنْتَ مُقِيمًا
فَيَوْمًا وَلَيْلَةً ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ

ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزع يديك عن يده ، حتي يكون هو الذي ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه لم يصافح أحداً فنزع يده حتي يكون هو الذي ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتي يكون هو الذي يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقوم من بين يديه ، ولا تتجاوزن ركبته ركبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركة جليس له . وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أعز من خلقه جميعاً ، الله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذ بالله الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر فلان ، اللهم كن لي جارا من فلان وجنوده ، أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغي ، جل جلالك ، وعز جارك ، ولا إله غيرك » . تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغني عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به .
وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن
سلام الله عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ،
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كتب ذلك إلى
مُسَيْلَمَةَ .

إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ ، فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا . لا تدهن
في مُدَّهْنٍ ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب
والفضة ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى
عن الشرب في إناء الذهب والفضة .

لا تنم على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء ، بلغني
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن لبس الحرير
والديباج إلا للنساء .

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي أَهْلِكَ وَخَاصَّتِكَ مِمَّا يَنْبَغِي تَغْيِيرَهُ ،
فلا تحابينَّ منهم أحدًا ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « انْصُرْ أَخَاكَ
ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ - عز وجل - فلا تحبسه إن
استطعت فواقًا حتي تمضيه . فإنك لا تأمن الأحداث ،

وإذا هممت بأمر غير ذلك . فإن استطعت أن لا تمضيه فواقعاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

لا تستحي إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا . فإن الله تعالى يقول : (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) .

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغني ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يقول آمين ، ويقول من خلفه سرّاً ولا يجهر به ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ لِتَأْمِينَ الْإِمَامِ ، فَمَنْ وَافَقَ مِنْكُمْ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأهل

مسجد قباء: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيكُمْ: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهِيرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَأَثْبِتُوا عَلَيْهِ ، قالوا: والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَأْمِنًا امْرَأَةً وَلَا رَجُلٌ يَأْتِي الْخَلَاءَ فَيَبْدَأُ بِشَيْءٍ دُونَ غَسْلِ فَرْجِهِ بِالْمَاءِ .

إِذَا أَكَلْتَ طَعَامًا فَعَلِّقَ بَيْنَ أَصَابِعِكَ فَالْعَقْمَا ، وَأَسْنَانِكَ فَتَخَلَّلْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَنْ يَرَى فِي الرَّجُلِ طَعَامًا وَهُوَ يُصَلِّي» .

إِذَا نَزَلْتَ مَنْزِلًا فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَفِي شَرِّ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ» .

لَا تَأْكُلْ شَيْئًا مِنْ ثَمَنِ طَعَامٍ لَا يَحِلُّ لَكَ أَكْلُهُ . وَلَا شَيْئًا مِنْ ثَمَنِ شَرَابٍ لَا يَحِلُّ لَكَ شَرْبُهُ . قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْخَمْرِ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شَرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا» . وَلَا تَدَاوِ بِشَيْءٍ لَا يَحِلُّ لَكَ أَكْلُهُ وَلَا شَرْبُهُ . وَلَا تَبْعُهُ . وَلَا تَشْتَرِهِ . وَلَا تَطْعَمَهُ . وَلَا تُطْعَمَهُ أَحَدًا . وَلَا تَسْقِهِ

ولا تُدَاوِ به أَحَدًا صَغِيرًا ، ولا كَبِيرًا ، ولا بِهِيمَةً ، ولا غيرها . بلغني عن بعض علماء الصحابة أَنَّهُ نَعِيَ لِبَعِيرٍ لَهُ خَمْرٌ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُوجِرُهُ خَمْرًا .

لَا تَأْكُلْ لَحْمَ شَيْءٍ مِنَ السَّبَاعِ ، وَلَا ذَا مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ ، بلغني أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ » .

إِذَا فَرَزْتَ فِي مَنَامِكَ فَقُلْ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ » .

بلغني عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : إِذَا فَرَزَ أَحَدُكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ ذَلِكَ .

إِذَا قُلْتَ لِأَحَدٍ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لِتَفْعَلَ ، فَلَمْ يَفْعَلِ الَّذِي أَقْسَمْتَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَجِبَ عَلَيْكَ الْحَنْثُ ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ ، وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْتَ لَهُ : أَحْلَفْتُ عَلَيْكَ أَوْ أَشْهَدُ عَلَيْكَ لِتَفْعَلَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَجِبَ عَلَيْكَ الْحَنْثُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كُنْتَ وَقْتَ لَهُ وَقْتًا مَعْلُومًا فَتَرَكَهُ حَتَّى جَاوَزَ الْوَقْتَ .

لَا تَبْدَأَنَّ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْإِسْلَامِ ، لَكِنْ لَوْ سَلَّمَ هُوَ فَقُلْ : وَعَلَيْكُمْ ، بَلَّغْنِي أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وسلم - أمر بذلك .
لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت لم تتوضأ -
إذا غسلت يديك .

لا تقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : لا تنبغي الصلاة من أحد لأحد
إلا للنبي عليه السلام .

ولا تقل لأحد جعلني الله فداك ، قال الزبير ذلك
للنبي - عليه الصلاة والسلام - وهو مريض ، فقال له - عليه
السلام : « ما تركت اعرابيتك بعد » وبلغني عن بعض
العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن
مسعود أنه قال : أربعة ليس عليهم جنابة : الأسنان والماء
والثوب والأرض .

لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في
بيوتهم .

لا تبلغ بشيء من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على
جرم اجتريه أربعين سوطاً . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ
بَلَغَ حَدًّا فِي غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ » .

إذا أَحْبَبْتَ أَحَدًا لِلَّهِ فَأَعْلَمِهِ ، ففي ذلك أَنَّ رَجُلًا قَالَ
لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا لِلَّهِ ، قَالَ : أَمَّا
أَخْبَرْتُهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَخْبِرْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ : أَحَبَّكَ
اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ » .

لا تشفع فيمن وجب عليه حدٌّ من حدود الله إذا انتهى
إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ،
قال ذلك بعض علماء الصحابة ، وتشفع في سارق فقيل له :
أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل
أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو عفا عنه .

الزم الصمت ، قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
« لَا يَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وإذا
أتيت قرية أو بلدًا فقل : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرَهَا ، واصرف
عَنَّا وَبَاءَهَا » كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول ذلك
إذا دنا من قرية .

إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك
الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم . فقال :
الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان علي - رضي الله عنه - يقولها
لمن عطس ، ويقول ذلك : يَهْدِيكَ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْك ، وكان

ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمتة حتي يحمد الله ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يُشَمَّتَ إِذَا حَمَدَ اللَّهَ » .

وَقَرَّ الْكَبِيرُ وَارْحَمِ الصَّغِيرَ ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لَيْسَ مِنْنا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا » .
لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا ملك يمين . ولا تضع يدها على شيء من جسدك . ولا تضع يدك على شيء من جسدها . ولا تقبل يدك ولا شيئاً من جسدك . ولا تعانق رجلاً ، ولا تقبل ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك بذي رحمك . فقد ضم النبي - صلى الله عليه وسلم - جعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه . وقَبَّلَ بين عينيه .
لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ، ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عنه .
إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .
لا تَمُنُّ على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجره ، قال عز وجل : (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) .

ومن أولئك معروفاً . وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه **مكافاة**
واذكره به . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ أُولِيَ **المعروف**
مَعْرُوفاً فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَكَافَأَتِهِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ . وَمَنْ
كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه . قال النبي - صلى الله
عليه وسلم - : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ،
وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا . قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : لِمَنْ أَطْعَمَ
الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصَّيَامَ ، وَطَيَّبَ الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

إذا عملت عملاً لله فأحسنه لقوله تعالى : (لِيَبْلُوكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) .

لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تنهمم حتى تحقه .
لاتأت أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع
حسك . قال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ
الْحَيَاءِ قَالُوا : كَيْفَ نَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ قَالَ :
احْفَظُوا الرِّأْسَ وَمَا حَوَيْ ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَادْكُرُوا
الموتَ والبَلَا ، وَذَرُّوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

إذا أصبحت فقل : « اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ

لَا شَرِيكَ لَكَ . لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ لَا شَرِيكَ لَكَ ، عَشْرَ
مَرَّاتٍ . قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ
مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ وَكُلَّ يَدٍ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهِ حَتَّى يُمْسِيَ ،
وَإِذَا قَالَهَا لَيْلًا فَكَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ " .

إِذَا كُنْتَ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةِ
فَاغْتَسِلْ . وَإِنْ تَوَضَّأْتَ أَجْزَأَكَ . سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَنِ الْغَسْلِ
فَقَالَ : لِلْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ .

إِذَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ فَلَا تَسْتَقْبِلْهُ حَتَّى تَدْعُو . وَقَالَ : اللَّهُ
أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ . أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ .
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ . وَشَرِّ يَوْمِ الْمَحْشَرِ .

لَا تَوُثِّنْ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ .
وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ :
« لَا يَوْمَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .
وَلَا تَحِبَّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمَثُلُوا لَكَ قِيَامًا . لِقَوْلِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِيَامًا
وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

اجابته الدعوة
أَجِبِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْعُرْسِ حَقٌّ » وَقَالَ : « لَوْ دُعِيتُ إِلَى كِرَاعِ »

لَأَجَبْتُ» .

إذا حلفت على شيءٍ . وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعهما ما لم يكن مَعْصِيَةً .

احتجم في سبع عشرة . وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين .
أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — بذلك .

إذا عدت مريضاً فأخفَّ العِيَادَةَ ، وأقلَّ اللَّبَثَ .

إذا مررت بالمقابر فقل : السلام عليكم أهل الدار
المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . أنتم
لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

لا بأس أن تمشي أمام الجنازة . مشي النبي — صلى الله عليه وسلم —
عليه وسلم . وأبو بكر . وعمر . وابن عمر أمامها . وإذا
كنت راكباً فلا تسبقها ولا تنزل . حتي توضع عن عواتق
الرجال . بلغني ذلك عن بعض الصحابة .

لا تنفخ في الطعام والشراب . فإنه جفاء . قاله بعض
العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح
الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام
الحجر . وعرفة ، وجمع ، والصفاء ، والمروة ، والجمار ، روي ذلك

عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين
ترفعهما حتي تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطهما عند
صدرك في باقي ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبي - صلى الله عليه وسلم -
اللاعب به وقال : « إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ » .

لا تمضغ العلك ، ولا تخلل إزارك ، ولا تجرد
ولا تحذف ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّهَا
مِنْ أَخْلَاقِ قَوْمٍ لُّوطٌ » .

اجمع الصَّوَّامَ عند فطرك على طعامك . قال صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ،
وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ » .

واعلم - رحمك الله - أَنَّ الله تعالى خصك من موعظتي
بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة
لك ، وسبباً إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك
من القيام بأمر الله تعالى ، واتَّباع ما هو أهله ماترجو به
القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف (١) عنه

(١) تظلف عنه نفسك :- أى تكفها عنه .

نفسك ، وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه - إن شاء الله -
حتي توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه -
إن شاء الله تعالى -
والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآل .

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده (١)

الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه
المثقوب ، ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولا يبغته الفراق
المعتوب ، ملهم الهدي الذي تطمئن به القلوب ، وموضح
السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم
الوجوب ، لاسيما للولي المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل
في الكتاب المعجز الأسلوب : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ
يَعْقُوبَ ...) و (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ...)
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أكرم
من زرت على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف من خلعت
عليه حلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ، ولا تصمه
العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المشابرين على لسان
الاستقامة بالهوي المغلوب ، والأمل المسلوب ، والاقتداء
الموصل المرغوب ، والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإني لما علاني المشيب بقمته ، وقادني الكبير
برمته ، وادكرت الشباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ،
وندمت بعد العظام على مارضعت ، وتأكد وجوب نصحي
لمن لزمني وعيّه ، وتعلق بعيني سعيه ، وأمّلت أن تتعدي

(١) نفح الطيب - ٤ ص ٤١٩ - ٤٢٦

إليّ ثمرة استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفي برزخ أموات ،
ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري إن سلك ، وعسي
أن لا يكون ذلك على آثاري ، فقلت أخطب الثلاثة
الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الصراعة إلى الله تعالى في
توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمنَّ
عليّ منهم بحسن الخلف ، والتلافي من قبل التلف ، وأن
يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف ، فهو ولي ذلك ،
والهادي إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم الله تعالى . . الذي بأنواره تهتدي
الضلال ، وبرضاه ترفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل
الكمال ، إذا ذهب المال ، وأُخْلِفتِ الآمال ، وتبرأت من
يمينها الشمال ، أَنِّي مُودِّعُكُمْ وَإِنْ سألني الرّدي ،
ومفارقكم وإن طال المدي ، وما عدا مما بدا ، فكيف وأدوات
السفر تُجمع ، ومنادي الرحيل يُسمع ، ولا أَقَلُّ للحبيب
المودّع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة (١) تعقد
في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مُبْصِر ، تتكفل لكم
بحسن العواقب من بعدي ، وتوضح لكم من الشفقة والحنو

(١) خيط يربط في الأصبع للتذكير بشيء معين .

قصدي ، حسبما تَضَمَّنَ وعد الله من قبل وعدي ، فهي
أَرْبُكُمْ الذي لا يَتَغَيَّرُ وقفه ، ولا ينالكم المكروه مَارَفٌ
عليكم سقفه ؛ وكَأَنِّي بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد
أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ،
ونُصُول الشيب تروع بِأَسْل (١) ، لابل السام (٢) من كل
حذب نسل ، والمعاد للحد ولا تسل .

فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر مجر ،
وغداً شيوخ مضیعة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس
عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى
تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُتَعَظْ به في أمر ، وقال
بيدي لا بيد عمرو . فاقتنوها من وصية ، ومَرَامٍ في النصيح
قَصِيَّة ، وخصُّوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها
إذا انتقلوا .

وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملاً ، ولكن
ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، ولا رضي الدنيا منزلاً ، ولا لطف
بمن أصبح عن فئة الخير منعزلاً ، ولتُلَقَّنُوا تلقيناً ، وتعلموا
علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي . ويفترش

(١) الأسئل : الرمح المسنون .

(٢) الموت .

التراب جنبي ، ويسح انسكابي ، ونهرول عن المصلى
ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم تجلب ، أو غاية
كمال بسببكم تترتاد وتطلب ، حتي لا يكون في الدين
والدنيا أورف منكم ظلا ، ولا أشرف محلا ، ولا أغبط
نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى
قولي الآذان ، وتستلمحوا صبح نصحي وقد بان ، وسأعيد
عليكم وصية لقمان :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ
لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ
خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ .

وأعيد وصية خليل الله وإسراييله ، حكم ما تضمنه
محكم تنزيله : « يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

والدين الذي اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره

مُصْطَفَاهُ ، من قبل أَنْ يَتَوَفَّاهُ ، إِذَا أُعْمِلَ فِيهِ انتقاد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقررٌ ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبنائوه مع رفض أخيه متهدم ، فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزهه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعلمون ، الذي لَا يُسْأَلُ عن شيءٍ وهم يُسْأَلُونَ ، الحي العليم المدبر القدير ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ، أَرْسَلَ الرسل رحمةً ، لتدعوا الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوي الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنبيٍّ مَلَّتْنَا المرعية الهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قبضه إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وترك دينه يضم من الأُمة نشرًا ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوّط عنه في منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه .

رُويَ عنه - عليه الصلاة والسلام - أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن تَجَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ

وَسُنَّتِي ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِدِ .

فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق
شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا
مرشد هديه ؛ فَيَا فَوْزَ واعيه ، وَصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا
بكل ماجاء به . مجملا أو مفصلا على حسبه ، وأوجبوا
التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا
محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ،
وَفَضِّلُوا منهم أُولِي الفضل الشهير ، وَتَبَرَّؤُوا من العصبية
التي لم يَدْعُكُمْ إليها داع ، ولا تَعِ التشاجر بينهم أذن
واع فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم
استحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأثمتها الجلة ،
فهم صَقَلَة نصولهم ، وفُرُوع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم
وورثة رسولهم .

واعلموا أنني قطعت في البحث زماني ، وجعلت النظر
شأني ، منذ براني الله تعالى وأنشأني ، مع نبل يعترف به
الشاني ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ، فلم أجد خابط
ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف
فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التي يقصدها قد

نضلتها الشريعة وسبققتها ، وفرعت ثنيتها وارقتها ، فعليكم
بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء
بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول : - وهو أَصْدَقُ
القائلين - (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم
الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن
ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين ، ولا يضر
مفقود مع الفوز بالسعادة ، والله أَصْدَقُ الواعدين ، ومتاع
الحياة الدنيا أخس ماورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم
قد بلغت فأنت خير الشاهدين ، فاجذروا المعاطب التي
توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شوه الوجوه ، ونضج
الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، واربطوا بنفوسكم
عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع
أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأمل الزائل اثتلافكم ،
واقتنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على مافات وتعذر ، فإنما
هي دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو
الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها ،

وكفكفوا (١) الشبه أن تدنوا إليها .

واعلموا أن الاخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه
عمل ، وكل ماسوي الراعي همل ، وما بعد الرأس في صلاح
الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة .
واجعلوا حملة على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في
آياته ومعانيه ، وامثلوا أوامره ونواهيه . ولا تتأولوه
ولا تغلوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه .
وأكثرُوا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم .
واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتي لا ينخرم .
الله الله في الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة
الدم ، وغني المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة
اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية عن الفحشاء
والمنكر ، وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأماره
سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر ،
وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، والشاهدة للعبد برفع
الملامة ، وغاسول الطبع إذا طَبَعَ (٢) ، والخير الذي كل
ماسواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء

(١) كفكفوا : امنعوا .

(٢) الدنس مطلقاً في الجسم أو الخلق ، وهو أيضاً الكسل .

وإعادة ، فالخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ،
وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات
تيبس ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ، وإذا قورنت
بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره العذو
ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من
يموت من حق الحي الذي لا يموت ، وأحكموا أو ضاعها
إذا أقمتموها ، واتبعوها النوافل ما أطلقتموها ، فبالأتقان
تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقت الكمال ، ولا شكر
مع الإهمال ، ولا ربح من إضاعة رأس المال ، وذلك أحري
بإقامة الفرض ، وأدعي إلى مساعدة البعض البعض ، والطارة
التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل
فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها
الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها (١) ، والنيات
في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناءً بأساسه ، والسيف بمراسه .
واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر
مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتي
الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه
بمقال ، واستعاض صدأه بصِقَال ، وإن تراخي قهقر

(١) اسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء ، وخاصة الوجه
والقدمين ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « أنا قائد الغر المحجلين
يوم القيامة » .

الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمّل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، وَلِدْتُهَا القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعنّاه ، من غير استحقاق ملء يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها ونتائجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرّون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفي ، المحوضة لمن يعلم السر وأخفي ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته

المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ماترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدره فيما فرض عن ربه وسنه ، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغني لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيhre ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عمدة الاسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلي محاسنها من بعد الانتقاب (١) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

(١) الانتقاب : الاختفاء .

يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ) .
والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه
الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفه الله
في كتبه التي تُتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي
الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره
ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا
يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن
لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جمَّ
ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطي حسابكم .
فالتمسوه لبنيككم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ،
واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثري
لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر
يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تغزل ،
وتحلّوهم مثابة رفعة لا يحط فارعها ولا يستنزل ، واختاروا
في العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا يناله في غيره المقت .
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المريعة ،
من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق
ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هي آلات لغير ، وأسباب إلى

خير منها وخير، فمن كان قابلاً للازدیاد، وألفي فهمه في انقياد، فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه، ثم الشروع في أصول الفقه، فهو العلم العظيم المنّة، المهدي كنوز الكتاب والسنة، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلّة، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة، وهذه هي الغاية القصوى في الملة، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمي، وتقاعد عن التي هي أسمى، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه.

وإياكم والعلوم القديمة، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكاً، ورأياً ركيكاً، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون، وتطريق الظنون، وتطويق الاحتقار، وسمة الصغار، وخمول الأقدار، والخسف من بعد الإبدار، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال، وأوفق من قطع العمر في الجدال، هذا ابن رشد قاضي المصير ومفتيه، وملتمس الرشده وموليه، عادت عليه بالسخطة الشنيعة، وهو إمام الشريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، والتورط في ازدحامها، ولا تخلطوا جامكم بجامها إلا

ما كان من حساب ومساجة ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوي ذلك فمحمجور وحزم مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وأمرؤا بالمعروف أمراً رقيقاً ، وانهاوا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً ، واغبطوا من كان من سِنَةِ الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عنه حتي لا تسلكوا منه طريقاً .

وأطيعوا أمر من ولاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جمراً ، ولا تداخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً .
وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به .

وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُؤاري ، والسوأة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتماري ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدي الله ما أعدَّ له من العذاب ، أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفي وجه الديانة كلم ، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من

أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولاً ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولاً ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة ، وسبل الله تعالى غير منسدة ، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه ، ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه : قال الله تعالى في كتابه الذي هدي به سنناً قويمًا ، وجلّى من الجهل والضلال ليلاً بهيمًا : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) .

واجتناب الزني وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتد في سبيل السعادة باعه ، لو لم تتلق نور الله الذي لم يهد شعاعه ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يزني بأهله ، والله قد أعد للزاني عذاباً وبيلاً ، وقال : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، واللهو
لم يجعله الله في الحياة شرطاً ، والمحرم قد أغني عنه
بالحلال الذي سوغ وأعطي ، وقد تركها في الجاهلية أقوام
لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في
مرضاة الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على
العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى
يقول : (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وقال :
(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) في الكتاب
المبين .

ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطعم
عن ذلك حتي تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعي به
أحدكم على قدمه ، ولا يكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ،
ولا تلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ، فهو في السلوك إلى
الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط ، وإياكم
والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى
بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد في
الصحيح الحسان ، والنميمة فساد وشتات ، لا يبقي عليه

متات (١) ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » (٢) ،
 واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب
 الخير معها مسدود ، والبخل فما رُئِيَ البخل وهو مودود ،
 وإياكم وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها .
 وَمَظَنَّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تَوْمن غمراتها ، وَتَفَقَّدُوا أَنْفُسَكُمْ
 مع الساعات ، وافشوا السلام في الطرقات والجماعات ، ورقوا
 على ذوي الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة
 يربحكم في البضاعات ، وعولوا عليه وحده في الشدائد .
 واذكروا المساكين إذا نصبتهم الموائد ، وتقرّبوا إليه باليسير
 من ماله ، واعلموا أَنَّ الخلق عيال الله وَأَحَبُّ الخلق إليه
 المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ما ورد في
 ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أُولِي الْأَرْحَامِ ، والوشائج العادية
 الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظَّهْرَ ، وتفسد
 السر والجهر ، والرُّشَا فَإِنَّهَا تَحْطُ الْأَقْدَارَ ، وتستدعي المذلة
 والصغار ، ولا تسامحوا في لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل
 البطالة في أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من
 حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء

(١) متات : توسل وتقرب .

(٢) القتات :- النمام . يقال : - قت الحديث أي نقله .

والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا
بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ،
وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ،
وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ،
واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحذَر السموم ، واعلموا
أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر
أَذِيَّةَ المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ
عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما
نزلت ، ولا تضحجوا للأمراض إذا أَعْضَلت ، فكل منقرض
حقير ، وكل مُنْقَضٍ وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ،
وانتشقوا من جناب الله تعالى الأَرَج ، وأوسعوا بالرجاء
الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبى لعبد
إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجتوا إليه
في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي
يقيد به الشارد ، ويعذَّب الوارد ، واسهموا منها للمساكين
وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن
الآثار الشريفة : « ياعائشة ، أَحْسِنِي جَوَارَ نِعَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا
قَلَمًا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » .

ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلقيكم
الجهالة بسكرها ، وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم
حلبها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل
إلا لله إذا نُظِرَ بِعَيْنِ الْيَقِينِ .

والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذْهِبُوا بزواله
زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما
أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية وسر ، وللإنسان
مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ،
وصلوا التعاهد والتزاور ، ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا
الأوداء ، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا
تهارش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر
بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا
أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ،
وإذا أعظم النساء أمراً فاحقروه .

والله الله لا تنسوا مقارضة سَجْلِي ، وبروا أهل مودتي
من أجلي ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد .
الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار .
فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب

العدو على بلده في الافتضاح والافتقار، ومعوقاً عن الانتقال، أمام النُوب الثقال، وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا، فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها لا يقوم بضرها، وأعقاب من تقدم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوي عاضدة، ومن بُليَ بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلل من المال، وليحذر معادة الرجال، ومزلات الإدلال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال، وإفشاء السر، وسكر الاغترار، فإنه دأبُ الغرِّ، وليصُن الديانة، ويؤثر الصمت، ويلازم الأمانة، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أمران، قصد أقربهما إلى الحق، وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان، والزعازع تُسألِم اللدُن اللطيف من الأغصان .

وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، داع إلى الفضيحة والعار، ومن امتحن بها منكم اختياراً أو جبرَ عليها إكراهاً وإيثاراً، فَلْيَتَلَقَّ وظائفها بسعة صدره،

ويسبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهي بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه - أسعدكم الله - وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتي التي لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستفشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرت من بواعث الندم .

ومهما سئتم إطالتها ، واستفزتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوي الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونفق بضائعها المزجاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يلامه حيث شاء من شمل متصدع .

وصية الخطاب بن المعلى لابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي ، عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال :

« يا بني ، عليك بتقوي الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتي تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفي على الله خافية ، وإنني قد وسمت لك وسماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجياً مشرفاً يُحتاج إليك ، ويُرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإيَّاك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحنة ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، واللق صديقك وعدوك بوجه الرضي ، وكف الأذي ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وافش

السلام ، وامش متمكناً قَصْداً ، ولا تخطَّ برجلك ، ولا تسحب
ذيلك ، ولا تَلُوْ عُنُقَكَ ، ولا رداءك ، ولا تنظر في عِطْفِكَ ،
ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ
السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ،
ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت
فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك
وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوابة سيفك ،
وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد
الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطّي ، وأشباه ذلك
مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى
الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ،
ولامسألة إعادة ، وغضٍّ عن الفكاهات ، من المضاحك
والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولئك ، ولا جاريتك ،
ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإيّاك وأحاديث الرؤيا ،
فإنك إن أظهرت عجباً بشيءٍ منها طمع فيها السفهاء .
فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تصنع

تَصْنَعُ المرأة ، ولا تَبَدِّلُ تَبَدُّلَ العبد ، ولا تَهْلُبُ لحيثك
ولا تُبَطِّنُها^(١) ، وتوقُّ كثرة الحفِّ ونتف الشيب ، وكثرة
الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحلك غباً ، ولا تلحَّ
في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تُعلم أهلك
وولدك - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك ، فإنهم إن رأوه
قليلاً هُنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ،
وأخفهم في غير عنف ، ولنَّ لَهُم في غير ضعف ، ولا تهازل
أمتك ، وإذا خاصمت فتوقَّر ، وتحفَّظ من جهلك ، وتجنب
عن عجلتك ، وتفكَّر في حُجَّتكَ ، وأر الحاكم شيئاً من
حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفَّز على ركبتيك ،
وتوقَّ حُمرة الوجه ، وعرق الجبين ، وإن سُفِّه عليك فاحلم ،
وإذا هدأ غضبك فتكلَّم ، وأكرم عرضك ، والقي الفضول
عنك ، وإن قرَّبك سلطان فكنْ منه على حد السنان ، وإن
استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به
رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ماتري
من إلفافه إياك ، وخاصته بك ؛ أن تدخل بينه وبين

(١) هلب الشعر : نتف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ
مما تحت الذقن والحنك من الشعر .

أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعةٌ لا تنهض ، وذلةٌ لا تُقال ، وإذا وعدتَ فحَقِّقْ ، وإذا حدثتَ فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأَصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثتَ بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقفُّ لها الجلود (١) ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضَّأت فأجِدْ عَرَكَ كَفِّكَ ، وليكن وضعك الحُرْض (٢) من الأَشْنان في فيكَ كفعلك بالسواك ، ولا تَنَحَّع في الطَّسْت ، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلاً ، ولا تَمُجَّ فَتَنْضِحَ على أقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بألمشاش (٣) ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة

(١) تقفُّ لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحُرْض - بزنة قفل أو عنق - الأَشْنان تغسل به الأيدي اثر الطعام .

(٣) المشاش - بزنة غراب - العظم الذي لامخ فيه .

بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت
لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المشبور ، ولا تُبذّر تبذير
السفيه المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة
الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن
الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب
أكلة تمنع أكالات ، والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ،
ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدي القدر ، هوي
في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق
يسرع عطب صاحبه ، أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه
قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ،
ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللثيم على
الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر
طراد ، وزوجة سوء الداء العضال ، ونكاح العجوز يذهب
بماء الوجه ، وطاعة النساء تزري بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب
الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقريته ، وإياك وإخوان
السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ،

وقربُهُمُّ أعدِي من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب
واستخفار المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير
وهن .

والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق
لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق
العافية ، فإنهم أعدِي الأعداء .

وَمَنْ اتَّبَعَ الْهَوَى ، مال به الردي ، ولا يعجبك الجهل
من الرجال ، ولا تحتقِ ضئيلاً كالخلال (١) فإنما المرءُ
بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .
وتوقَّ الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش
عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من
عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنع البشر
جليسك ، والقبول ممن لا قالك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب
إلى التأنيث ، وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً
متعزّزاً منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في

(١) الخلال - بكسر الخاء ، بزنة الكتاب - العود الذي تخلل به
الاسنان ، يريد الرجل النحيل البالغ في النحافة .

حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .
واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في
أمرٍ حتي تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتي تري وجه
المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط
بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكتَ فعرضاً .
وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير
من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللثيم تطمعه فيك ، ومن
أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من
ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصديق ، والرفيق
الصالح ابن عم ، ومن أيسرُ أُكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر .
قصر في المقالة مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب
عليك ، وطول السفر ملاله ، وكثرة المني ضلاله ، وليس
للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ
عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوقاح (١)
وزير ، والحليم مطية الأحمق ، والحمق داءٌ لا شفاءً له ،

(١) الوقاح :- بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهى الافراط في
سوء الأدب .

والحلم خير وزير . والدين أزين الأمور . والسماجة
سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان . والشعر من
السحر . والتهدد هُجر ، والشح شقاء . والشجاعة بقاء .
والهدية من الأخلاق السرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتداء
المعروف صار ديناً . ومن المعروف ابتداءً من غير مسألة .
وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء . ولرياء بخير خير من
معالنة بشر ، والعرق نزاع . والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً
فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حلَّ عقداً احتمل حقداً . ومراجعة
السلطان خرق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة .
وأعجل منفعة إيسار في دعة ، وكثرة العلل من البُخل .
وشر الرجال الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء يذهب
بالشحناء . ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سَكَنه . ولا عيش له مع
خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فَسَلْ عن أهلها ، فإن
العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف . فتوقَّ
منهن كل ذات بَذا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة

بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ،
لا تشكر على جميل ، ولا ترضي منه بقليل ، لسانها عليه
سيف صقيل ، قد كشفت القحّة ستر الحياء عن وجهها ،
فلا تستحي من إعوارها ، ولا تستحي من جارها ، كلبه
هرارة ، مُهارشة عَقَّارة (١) فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه
مشتوم ، ولا ترعي عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحبه ،
ولا لكثرة بنين ، حجابيه مهتوك ، وستره منشور ، وخيره
مدفون ، يصبح كثيباً ، ويمسي عاتباً ، شرابه مرّ ، وطعامه
غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه
شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره
ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبّه مثل
العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع (٢) ، وإبراق
واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن
قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة
لمخازيه ، محتقرة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر

(١) هر الكلب هريراً : نبج ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .
(٢) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ،
والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المرّ .

به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتي قلا بيته .
وملّ ولده . وغثّ عيشه . وهانت عليه نفسه . وحتى
أنكره إخوانه . ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحمقاء (١) : ذات الدّل في غير موضعها ،
الماضغة للسانها . الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت
بحبه ورضيت بكسبه . تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر
الشمس ولما يُسمع لها صوت . ولم يكنس لها بيت ، طعامها
بائت ، وإنأؤها وضر (٢) . وعجبتها حامض ، وماؤها فاتر ،
ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ،
وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود . المباركة الولود ، المأمونة على
غيبتها ، المحبوبة في جيرانها ، المحموددة في سرها وإعلانها ،
الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة
بيتاً ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها
ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله - يابني - ممن يقتدي بالهسي ، ويأتم

(١) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أي كثيرة
المطر .

(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - : بقية الدسم والدهن في الاناء ،
الوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

بالتقي ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضي .
والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبي الهدى
وعلى آله ، وسلم تسليماً كثيراً .

أنشد المنتصر بن بلال الأنصارى :

صافِ الصَّدِيقِ بِوُدِّهِ وَإِذَا دَنَا شَبِيراً فزُدْهُ
واحلم إِذَا نَطَقَ السَّفِيهِ فَمَنْ يُرِدْ جَهْلًا يَجِدْهُ
أنشد علي بن محمد البسامى :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ قَاعِدًا
وخيَّرت : أَنِّي شئتُ ، فالحلم أفضل
ولكن إِذَا أَنْصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مَنْصَفًا

ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل
أنشد محمد بن حبيب الواسطى :

إِذَا أَمِنَ الْجَهْلُ جَهْلَكَ مَرَّةً
فعرضك للجهل غُنى من الغنى
فعمَّ عليه الجهل والحلم والقه
بمرتبة بين العداوة والسلم

فيرجوك تاراتٍ ، ويخشاك تارة
وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم

نصيحة الإمام تركي آل سعود إلى أهل الأمصار (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله . . . إلى من يراه من المسلمين .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . . فموجب
الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة
لكم ، والشفقة عليكم ، والمعذرة إلى الله تعالى ، إذ ولاني
الله تعالى أمركم ، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم
في الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن إذا أُعطي شكر ، وإذا
ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب
الشاكرين ، ووعدهم على ذلك بالمزيد .
قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ
إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) .

فالذي أوصيكم به ، تقوي الله في السر والعلانية ، قال
الله تعالى : (وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ

(١) هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وهو خامس حاكم من
آل سعود ، تولى الحكم من سنة ١٢٣٥ إلى ١٢٤٩ حارب الحكم العثماني ،
وحكم أسرة محمد علي الألباني الذي حكم مصر أيضاً ، فنشر رجاله
الظلم والفساد .

وبعد ان استتنب الأمر للإمام تركي ، وبايعته البلاد ، والتف الشعب
حوله ، أرسل هذا المنشور إلى أهل الأمصار ، لتلاوته في المساجد ، وللعمل
بما جاء فيه ، وهو أشبه بدستور للحكم .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ .

وجماع التقوي أداء ما افترضه الله سبحانه ، وترك ما حرم الله ، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها وهي عمود الاسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، من أقامها فقد أقام دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ؛ وهي آخر ما أوصي به النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه ، وهي آخر ما يذهب من الدين ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

وبعض الناس قد يسيء في صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده ، أو في نخلة هو ورجاله ، والمسجد جار له . وفي الحديث : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وهم النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق » .

وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها ، لكن الكبرى عدم إنكار المنكر ، وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كلاً ذنبه

على جنبه ، وفي الحديث : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفية ، ولتطرون على الحق أطراء ، أو ليعمّنكم الله بعقابه » .

وكذلك الزكاة : وبعض الناس يبخل ويستخف بها ، ويجعلها من دون ماله (١) ، والعياذ بالله تعالى ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مامن صاحب ذهب ولا فضة ، لا يؤدي حق الله منه ؛ إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح ، وأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوي بها جبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتي يقضي بين العباد فيري سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » .

ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم ، وكل

(١) دون المال : أدناه وأرخصه .

مالا تؤدّي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ، ولو كان من زرع فقد زكي إذ حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو ثمر أو أثمانها ، كل ما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، والله يبتلي الغني بالفقير . وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فخرجوا الله تعالى أن يقبلها منه ، ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين .

وكذلك معاملة الربا ، تفهمون أنها أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب لله ورسوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . وقال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وفي الحديث أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال : « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ » فليتهم سواء . فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية ،

وَأَنْ مَنْ لَمْ يَنْكَرْ عَلَى الْعَاصِي كَالْمِرَاثِيِّ فَهُوَ مِثْلُهُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « الرِّبَا سَبْعُونَ ضَرْبًا أَيْسَرُهَا مِثْلُ مَنْ يَنْكَحُ أُمَّهُ » . وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا : « أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ لَا يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَلَا يُذِيقُهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ » .

وَمِنْ أَنْوَاعِ الرِّبَا : الطَّعَامُ بِالطَّعَامِ إِلَى أَجَلٍ ، وَبِيعَ الذَّهَبُ بِالْفِضَّةِ ، وَالْفِضَّةُ بِالذَّهَبِ ، وَالتَّفْرِقَةُ قَبْلَ الْقَبْضِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ يَدًّا بِيَدٍ ، وَزَنًّا بِوَزْنٍ ، كَيْلًا بِكَيْلٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى الْآخِذُ وَالْمُعْطَى » . فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَجْنَاسُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًّا بِيَدٍ .

وَمِنْهُ الْقَرْضُ الَّذِي يَجْرِي مِنْفَعَةً ، وَفِي الْحَدِيثِ : « كُلُّ قَرْضٍ جَرٌّ نَفْعًا فَهُوَ رِبَا » وَكَذَلِكَ قَلْبُ الدِّينِ بِالْدِّينِ عَلَى الْمَعْسَرِ ، إِذَا كَانَ فِي ذِمَّتِهِ دِرَاهِمٌ ، فَعَجَزَ عَنْ وِفَائِهَا ، فَأَسْلَمَهَا إِلَيْهِ بِطَعَامٍ ، وَهَذَا يَشْبَهُ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ .

وَكَذَلِكَ بَيْعُ الْعَيْنَةِ وَهُوَ حَرَامٌ ، بَأَنَّ كَانَ عِنْدَ رَجُلٍ سَلْعَةٌ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ إِنْسَانٌ إِلَى أَجَلٍ ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهُ

صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها .

وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذي له
معاملة ، أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه ، والجاهل
يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق
المال ، فأنتم استعينوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوي ،
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

وكذلك المكايل والموازين ، وأنا ملزم كل أمير بأن
يحضر مكايل بلده ، صغارها وكبارها ، وينظر فيها عن
الخلل ، وتكون على مكيال واحد ؛ وكذلك تفعلون بالموازين
وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان
ولو كانت المعاملة مع ذمي كما في الحديث : « أَدِّ الْأَمَانَةَ
إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الرديئة ، والذين
يجتمعون على شرب النتن والنشوق به .

وكل أهل بلد لا بد أن يرتبوا مجالس الدرس في
الجوامع ، فإن كانت خاوية فلا بد أن يعمروها ، والذي
يُعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا .
وأنا مُطلق الأمر بالمعروف ، والتناهي عن المنكر ، إذا

كان عن علم ينصح أولاً ، ويؤدّب ثانياً . ومن عار من
من خاص أو عام ؛ فأدبه الجلاء عن وطنه ، وهذا من ذمته
في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر .
وأنا أشهد الله عليكم أنني بريء من ظلم من ظلمكم .
وإننا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم . .
(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فاللف بين
قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها) ؛ وأعزكم الله بعد الذلة ، وجمعكم
بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف ،
وبالإسلام أعطي الله ما رأيتم ؛ والسلام .

وصية الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين .

علينا أن نفهم الإسلام في حدود هذه الأصول العشرين
الموجزة :

١- الإسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ فهو
دولة ووطن ، أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة
وعدالة ؛ وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ؛ وهو مادة
وثروة ، أو كسب وغني ؛ وهو جهاد ودعوة ، أو جيش
وفكرة ؛ كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، سواء
بسواء .

٢- والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، مرجع كل مسلم في
تعرف أحكام دينه ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد
اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم
السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣- وللإيمان الصادق ، والعبادة الصحيحة والمجاهدة - نور
وحلاوة ، يقذفهما الله في قلب من شاء من عباده . ولكن

الإلهام والخواطر ، والكشف والروى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤- والتمايم والرقى ، والودع والرمل ، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب ؛ منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥- ورأى الامام ونائبه فيما لائنص فيه ، وفيما يحتمل وجوها عدة ، وفي المصالح المرسله معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم - صلى الله عليه وسلم - ؛ وكل ما جاء عن السلف - رضوان الله عليهم - موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لانعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧- ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا

الاتباع ، أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متي صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي ، إن كان من أهل العلم حتي يبلغ درجة النظر .

٨- والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي للنزاهة في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩- وكل مسألة لا ينبغي عليها عمل ، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب - رضوان الله عليهم - وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبتته ، وجزاء نيته ، وفي التأول مندوحة .

١٠- معرفة الله تبارك وتعالى وتنزيهه وتوحيده أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من التشابه ؛ نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه : «الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» .

١١- وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ، استحسناها الناس سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها .

١٢- والبدعة الإضافية ، والالتزام في العبادات المطلقة بخلاف فقهي لكل فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣- وصحبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم - قربة إلى الله ، - تبارك وتعالى - والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد

أنهم -رضوان الله عليهم- لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم .

١٤- وزيارة القبور أيا كانت ؛ سنة مشروعة بالكيفية الماثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبرين أيا كانوا ، ونداؤهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشيد القبور وسترها وإضاءةها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات - كبائر ، تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة .

١٥- والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦- والعرف الخاطي لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المتصودة بها ، والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧- والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا

وإن اختلفت مراتب الطلب .

١٨ - والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن ، أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ - وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعي ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي - فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتي يثبت العقلي أو ينهار .

٢٠ - ولا تكفر مسلماً نطق بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأدَّى الفرائض برأي أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

فإذا علمت دينك في حدود هذه الأصول ، فقد عرفت معني قوله تبارك وتعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) . وعرفت أن القرآن أحكم دستور ، وأن تعاليمه أحكم

التعاليم وأنفعها لتقدم البشرية ، وأصونها من الزلل ،
وصدق الله العظيم حيث قال : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ) .

متفرقات

مقطوعة لأبي حيان (١)

أما إنه لولا ثلاث أحبها
تَمَنَيْتَ أَنِّي لَا أَعْدُ مِنَ الْأَحْيَا
فمنها رجائي أَن أَفُوزَ بِتُوبَةٍ
تَكْفُرُ لِي ذُنُوبًا وَتُنْجِحَ لِي سَعِيَا
ومنهن صَوْنِي النَّفْسَ عَنْ كُلِّ جَاهِلٍ
لثِيْمٍ فَلَا أَمْشِي إِلَى بَابِهِ مَشِيًا
ومنهن أَخَذِي بِالْحَدِيثِ إِذَا الْوَرَى
نَسُوا سَنَةَ الْمُخْتَارِ وَاتَّبَعُوا الرَّأْيَا
أَتَرْكُ نَصًّا لِلرُّسُولِ وَتَقْتَدِي
بشخصٍ ؟ لَقَدْ بَدَّلْتَ بِالرَّشْدِ الْغِيَا

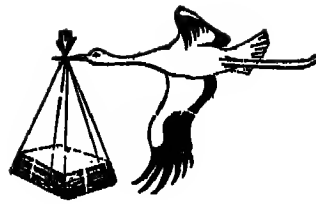
وله أيضا :

يَا مُنْضَى الطَّرْفِ فِي مِيدَانِ لَذَّتِهِ
وناضي الطرف بين الراح والرُّود (٢)
ستشرب الروح راح الوقت كارهة
ويذهب الجسم بين الترب والدود

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي .
(٢) منضى : منعب ، والطرف - بكسر الطاء - : الفرس ، والطرف - بفتح الطاء - : العين ، والرود - بضم الراء - : الفتاة الشابة .

فهرس كتاب الوسايا الخالدة

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	١	وصية اكثم بن صيفي الى طيىء	١٠٥
الباب الأول		وصية ذي الأصبع العدواني لابنه	١٠٧
من كلام الله ورسوله		وصية أمامه بنت الحارث لابنتها	١٠٩
من هدى القرآن	٥	كتاب اكثم الى النعمان بن خبيصة	١١١
من هدى النبوة	١٢	الباب الرابع	
الباب الثاني		من وسايا الصحابة والتابعين	
من وسايا الخلفاء الراشدين		بين معاوية وعمر بن العاص	١١٧
وصية أبي بكر الى خالد بن الوليد	٣٧	عهد أبي عبيدة لأهل دمشق	١١٩
وصية أبي بكر الى عمر بن الخطاب	٣٩	صفة الامام العادل للحسن البصري	١٢٣
ابو بكر وجيش أسامة	٤١	موعظة طاووس الى عمر بن عبد العزيز	١٢٦
كتاب عمر الى أبي موسى الأشعري	٤٤	موعظة سالم الى عمر بن عبد العزيز	١٢٧
» » » » في القضاء	٤٦	آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز	١٢٩
» » » » في سياسة الدولة	٤٨	الباب الخامس	
» » الى سعد بن أبي وقاص	٥٠	من وسايا القواد والفقهاء والأدباء	١٣١
كتاب عثمان الى أهل الموسم	٥٣	عهد طاهر بن الحسين	١٣٢
وصية علي الى عثمان بن حنيف	٦٠	رسالة الامام مالك لهرون الرشيد	١٤٩
كتاب علي للأشتر النخعي	٦٦	وصية لسان الدين الخطيب لأولاده	١٩٢
وصية علي لابنه الحسن	٨٥	وصية الخطاب بن المولى لولده	٢١٣
وصية علي لكهيل بن زياد	١٠٢	نصيحة الإمام تركي بن سعود	٢٢٤
الباب الثالث		وصية الشيخ حسن بن أحمد بن	
من وسايا حكماء الجاهلية		عبد الرحمن	٢٣١



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٧٠٦١ بيروت لبنان

الـثـمـن : ٣٠٠ ق.ل.

